

هذا هو الكتاب الذي الهمت حصة منه من رب العباد - في يوم عيد من الاعياد - فقرءته على الحاضرين - بانطاق الروح
الامين - من غير مدد الترقيم والتدوين - فلا شك انه اية من الآيات - وماكان لبشر ان ينطق كمثلي مرتجلا مستحضرا في مثل هذه
العبارات - وكان الناس يرقبون طبعه رقبة يوم العيد - ويستطلعون بعيون المشتاق المريد - فالحمد لله
الذي اراهم مقصودهم بعد الانتظار - ووجدوا مطلوبهم كبستان مذللة اغصانه من الثمار - وانه صنيعة
احسان الحضرة - ومطية تبليغ الناس الى السعادة وانه غيث من الله بعد ما امحلت البلاد و
عم الفساد - ولن تجد هذه المعارف في الآثار المنتقاة المدونة من الثقات - بل هي حقايق
اوحيت اليّ من رب الكائنات - وانه اظهار تام وهل بعد المسيح كتم - وهل بعد
خاتم الخلفاء على السرّ ختم - وليس من العجب ان نسمع من خاتم
الائمة نكاتا ما سمعت من قبلُ من علماء الملة بل العجب كل العجب
ان ياتي المسيح الموعود والامام المنتظر وحكمُ
الناس وخاتم الخلفاء ثم لا ياتي بمعرفة جديدة
من حضرة الكبرياء - ويتكلم كتكلم العامة من
العلماء - ولا يفرق فرقا بيّنا بين الظلمة
والضياء - واني سميت
هذه الرسالة

خُطبَةً اِلهَامِيَّةً

وَاِنّي عُلّمتُهَا اِلهَامًا مِنْ رَبّي وكَانَتْ آيَةً

تعداد الاشاعة ۲۱۰۰

ثمن نسخة واحدة ۸/ عمر

وانها طبع في مطبع ضياء الاسلام قاديان باهتمام الحكيم فضل الدين
البهيروي في سنة ۱۳۱۹ من الهجرة المقدسة

صورة غلاف الطبعة الأولى

المُحتَويات

كلمة الناشر	أ
الإعلان	٣
الباب الأول	١٥
الباب الثاني	٢٦
الباب الثالث	٣٩
الباب الرابع	٦٠
الباب الخامس	٦٦
القصيدة لكل قريحة سعيدة	٨١
ما الفرق بين آدم والمسيح الموعود	٨٤
الحالة الموجودة تدعو المسيح الموعود والمهدي المعهود	٩٩

هذا هو الكتاب الذي أُلهمتُ حصّةً منه من رب العباد، في يومٍ عيد من الأعياد. فقرأتُه على الحاضرين، بإنطاق الروح الأمين، مِن غير مدد الترقيم والتدوين. فلا شك أنه آية من الآيات، وما كان لبشرٍ أن ينطق كمثلي مرتجلاً مستحضرًا في مثل هذه العبارات. وكان الناس يرقُبون طَبْعَه رِقْبَةَ يومِ العيد، ويستطلعون بعيون المشتاق المُريد، فالحمد لله الذي أراهم مقصودهم بعد الانتظار، ووجدوا مطلوبهم كبستانٍ مذلَّلةٍ أغصانُه من الثمار. وإنه صنيعةُ إحسان الحضرة، ومطيّة تبليغ الناس إلى السعادة، وإنه غيثٌ من الله بعدما أمْحَلتِ البلاد وعَمَّ الفساد. ولن تجد هذه المعارف في الآثار المنتقاة المدوّنة من الثقات، بل هي حقائق أُوحيتْ إليَّ من رب الكائنات. وإنه إظهار تامّ، وهل بعد المسيح كتمٌ؟ وهل بعد خاتم الخلفاء على السرّ ختمٌ؟ وليس من العجب أن تسمع من خاتم الأئمة نِكاتًا ما سُمعتْ من قبل من علماء الملة، بل العجب كل العجب أن يأتي المسيح الموعود والإمام المنتظر وحَكَمُ الناس وخاتمُ الخلفاء، ثم لا يأتي بمعرفة جديدة من حضرة الكبرياء، ويتكلم كتكلُّم العامة من العلماء، ولا يفرّق فرقًا بيّنًا بين الظلمة والضياء. وإني سمّيتُ هذه الرسالة:

خُطْبَةً إِلْهَامِيَّةً

وإِنّي عُلِّمتُها إلهامًا من ربّي وكانتْ آيةً

وإنها طُبع في مطبع ضياء الإسلام قاديان باهتمام الحكيم فضل الدين البهيروي في سنة ١٣١٩ من الهجرة المقدسة

الإعــلان

أيها الإخوان من العرب وفارس والشام، وغيرها من بلاد الإسلام، اعلموا رحمكم الله أني كتبت هذا الكتاب لكم مُلهَمًا من ربي، وأُمرتُ أن أدعوكم إلى صراط هُديتُ إليه وأؤدّبَكم بأدبي. وهذا بعدما انقطع الأمل من علماء هذه الديار، وتحقّقَ أهم لا يبالون عقبى الدار، وانقطعتْ حركتُهم إلى الصدق مِن تفالُجٍ لا من فالِجٍ، وما نفعهم أثرُ دواء ولا سعيُ مُعالِجٍ، وما بقِي لأَجارِدِ المعارفِ في أرضهم مَرتَع، ولا في أهلها مَطمَع، فعند ذلك أُلقِيَ في قلبي من الحضرة، أنْ آويَ إليكم لطلب النصرة، لتكونوا أنصاري كأهل المدينة. ومَن نصَرني وصدّقني فقد أرضَى ربَّه وخَيْرَ البريّة. وإن شرَّ الدوابّ الصُمُّ البُكْمُ الذين لا يُصْغون إلى الحق والحكمة، ولا يسمعون برهانا ولو كان من الحجج البالغة، وإذا قيل لهم آمِنوا بما أتاكم من ربكم من الحقّ والبيّنة، بعد أيامٍ كثُرت الفِرَقُ واختلافُهم فيها وتلاطم بحر الضلالة، قالوا لا نعرف ما الحق وإنّا وجدنا آباءنا على عقيدة وإنا عليها إلى يوم المَنيّة. وما قلتُ لهم إلا ما قال القرآن، فما كان جوابهم إلا السبّ والهذيان. وإن الله قد علّمني أن عيسى ابن مريم قد ماتَ، ولحِق الأمواتَ، وأما الذي كان نازلا من السماء، فهو هذا القائم بينكم كما أُوحيَ إليّ مِن حضرة الكبرياء.

وكانت حقيقة النـــزول[١] ظهورَ المسيح الموعود عند انقطاع الأسباب وضعفِ الدولة الإسلامية وغلبة الأحزاب. وكان هذا إشارة إلى أن الأمر كله ينـــزل من السماء، مِن غير ضرب الأعناق وقتل الأعداء، ويُرَى كالشمس في الضياء. ثم نقَل أهلُ الظاهر هذه الاستعارة إلى الحقيقة، فهذه أوّلُ مصيبة نزلت على هذه الملة.

وما أراد الله من إنزال المسيح إلا ليُرِيَ مقابلةَ الملّتين بالتصريح، فإن نبينا المصطفى كان مثيلَ موسى، وكانت سلسلةُ خلافة الإسلام كمثل سلسلة خلافة الكليم من الله العلاّم، فوجب مِن ضرورة هذه المماثلة والمقابلة أن يَظهَر في آخر هذه السلسلة مسيحٌ كمسيح السلسلة الموسوية، ويهودٌ كاليهود الذين كفّروا عيسى وكذّبوه وأرادوا قتله وجرّوه إلى أرباب

[١] – الحاشية: اعلموا أن لفظ النـــزول قد اختيرَ للمسيح الموعود للوجهين: (١) أحدهما لإظهار انقطاع الأسباب الأرضية كالحكومة والرياسة والوسائل الحربية في مُلك يُبعَث فيه مِن الحضرة الأحديّة، كأنه كانت إشارة إلى أن المسيح الموعود لا يأتي إلا في مُلْكٍ لا يبقى فيه للإسلام قوةٌ ولا للمسلمين طاقة، ومع ذلك يقومون للإنكار، ويريدون أن يُطفئوا نور الله فضلاً مِن أن يكونوا من الأنصار، فيؤيَّد المسيحُ مِن لدن رب السماء، ولا يكون عليه منّةُ أحد مِن ملوك الأرض وأهل الدول والأمراء، ولا يستعمل السيفَ والسنان، فكأنه نزل من السماء ونصَره الله مِن لدنه وأعان. (٢) ثانيهما لإظهار شهرة المسيح الموعود في أسرع الأوقات والزمان في جميع البلدان، فإن الشيء الذي ينـــزل من السماء يراه كل أحد من قريب وبعيد ومن الأطراف والأنحاء، ولا يبقى عليه سترٌ في أعين ذوي الإنصاف، ويُشاهَد كبرق يبرق مِن طرف إلى طرف حتى يحيط كدائرة على الأطراف. منه

الحكومة. فمن العجب أن علماء الإسلام اعترفوا بأن اليهود -الموعودون في آخر الزمان- ليسوا يهودا في الحقيقة، بل هم مِثْلُهم من المسلمين في الأعمال والعادة، ثم يقولون مع ذلك إن المسيح ينــزل من السماء، وهو ابن مريم رسول الله في الحقيقة، لا مثيله من الأصفياء! فكأنهم حسبوا هذه الأُمّة أرذأَ الأممِ وأخبثَهم، فإنهم زعموا أن المسلمين قوم ليس فيهم أحد يقال له إنه مثيلُ بعض الأخيار السابقين، وأما مثيل الأشرار فكثير فيهم. ففَكِّروا فيه يا معشرَ العاقلين.

ثم إن مسألة نزول عيسى نبي الله كانت من اختراعات النصرانيين، وأما القرآن فتوفّاه وألحَقَه بالميّتين. وما اضطرّت النصارى إلى نحتِ هذه العقيدة الواهية إلا في أيام اليأس وقطْعِ الأمل من النصرة الموعودة، فإن اليهود كانوا يسخَرون منهم ويضحكون عليهم ويؤذونهم بأنواع الكلمات عندما رأوا خذلانهم وتقلُّبَهم في الآفات، فكانوا يقولون أين مسيحكم الذي كان يزعم أنه يرث سريرَ داود، وينال السلطنة وينجّي اليهود؟ فتألّمَ النصارى من سماع هذه المطاعن، وإلامَ الصبر باللاعن؟! فنحتوا الجوابَين عند هذين الطعنَين والخطابَين، فقالوا إن يسوع بن مريم، وإن كان ما نال السلطنة في هذه الأوان، ولكنه ينــزل بصورة الملوك الجبّارين القهّارين في آخر الزمان، فيقطع أيديَ اليهود وأرجلهم وأنوفهم ويُهلِكهم بأشدّ العذاب والهوان، ويُجلِس أحبابَه بعد هذا العقاب على سُرر مرفوعة موعودة في الكتاب. وأمّا قول المسيح إنه مَن آمنَ به فينجيه من الشدائد التي نزلت على بني إسرائيل.. فمعناه أنه ينجيه بدمه من الذنوب لا من جَور الحكومة الرومية كما ظُنَّ

وقيل. فحاصل الكلام أن النصارى لما آذاهم طولُ مكثهم في المصائب، وأطال اليهود ألسنهم في أمرهم وحسبوهم كالخاسر الخائب، شقَّ عليهم هذا الاستهزاء، فنحتوا العقيدتين المذكورتين ليسكت الأعداء. وإنّ من عادات الإنسان أنه يتشبّث بأمانيَّ عند هبوب رياح الحرمان، وإذا رأى أنه ما بقي له مقامُ رجاء فيسُرُّ نفسه بأهواء، فيطلب ما نَدَّ عن الأذهان، وشَذَّ عن الآذان؛ فقد يطلب الكيمياءَ عند نفاد الأموال، وقد يتوجه إلى تسخير النجوم والأعمال، وكذلك النصارى إذا وقع عليهم قول الأعداء، وما كان مَفرٌّ من هذا البلاء، فنحتوا ما نحتوا واتّكأوا على الأماني، كما هو سيرة الأسير والعاني. فأشاعوا الأصولين المذكورين كما تعلم وترى، ووفَّوا حقَّ العمى. ولما صار اعتقاد نزول المسيح جُزْءَ طبيعتهم، وأحاط على مجاري الفهم وعادتهم، كانت عنايتهم مصروفةً لا محالة إلى نزول عيسى، ليُهلِك أعداءهم ويُجلِسهم على سرر العزّة والعُلى. فهذا هو سبب سريان هذه العقيدة في الفِرق المسيحية. ومَثَلُهم في الإسلام يوجد في الشيعة، فإنه لما طال عليهم أمد الحرمان، وما قام فيهم ملِكٌ إلى قرون من الزمان، نحتوا مِن عند أنفسهم أن مهديهم مستتر في مغارة، ويخرج في آخر الزمان ويُحيِي صحابةَ رسول الله ﷺ ليقتُلهم بأذيّة، وإن حسينًا ابن عليّ، وإن كان ما نجّاهم مِن ظُلم يزيد، ولكن ينجيهم بدمه في اليوم الآخر من عذاب شديد. وكذلك كلُّ مَن خسر وخاب نحَت هذا الجواب. وسمعتُ أن فرقة من الوهابيّين الهنديّين ينتظرون - كمثل هذه الفِرَق- شيخَهم سيد أحمد البريلوي، وأنفدوا أعمارهم في

فلوات منتظرين. فهؤلاء كلّهم محلّ رَحْمٍ بما لم يرجع أحد من كبرائهم إلى هذا الحين، بل رجع المنتظرون إليهم، وكمْ حسرات في قلوب المقبورين!

فملخص القول إن عقيدة رجوع المسيح وحياته كانت مِن نسج النصارى ومفترياهم، ليطمئنوا بالأماني ويذُبّوا اليهودَ وهمزاتِهم. وأما المسلمون فدخلوها من غير ضرورة، وأُخِذوا من غير شبكة، وأكلوا السمّ من غير حلاوة. وإذا قبلوا رُكْنًا من رُكنَي الملّة النصرانية فما معنى الإنكار من الركن الثاني.. أعني الكَفّارة؟ وإنا فصّلنا هذه الأمور كلها في الكتاب، وكفاك هذا إن كنتَ من الطلاّب. إن الذين ظنوا من المسلمين أن عيسى نازل من السماء ما اتبعوا الحق بل هم في وادي الضلال يتيهون. ما لهم بذلك من علم إنْ هم إلا يخرصون. أم أُوتوا من البرهان، أو عُلّموا من القرآن، فهم به مستمسكون؟ كلا.. بل اتّبعوا أهواء الذين ضلّوا من قبل وتركوا ما قال رهم ولا يبالون. وقد ذكر الفرقان أن عيسى قد تُوفّي، فبأيّ حديث بعد ذلك يؤمنون؟ ألا يفكّرون في سرّ مجيء المسيح، أم على القلوب أقفالها، أم هم قوم لا يبصرون؟ إن الله كان قد مَنَّ على بني إسرائيل بموسى والنبيين الذين جاءوا مِن بعده منهم، فعصوا أنبياءهم، ففريقًا كذّبوا وفريقا يقتلون، فأراد الله أن ينـــزِع منهم نعمتَه ويؤتيها قومًا آخرين ثم ينظر كيف يعملون، فبعث مثيلَ موسى مِن قوم بني إسماعيل، وجعل علماءَ أُمّته كأنبياء سلسلة الكليم، وكسَر غرور اليهود بها بما كانوا يستكبرون، وآتى نبيَّنا كلَّ ما أُوتي موسى وزيادة، وآتاه من الكتاب والخلفاء كمثله، وأحرقَ به قلوبَ الذين ظلموا واستكبروا لعلهم يرجعون. فكما أنه خلق الأزواج كلها

كذلك جعل السلسلة الإسماعيلية زوجًا للسلسة الإسرائيلية، وذلك أمرٌ نطق به القرآن ولا ينكره إلا العمون. ألا ترى قوله تعالى في سورة الجاثية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلا مِنْ بعدما جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

فانظر كيف ذكر الله تعالى ههنا سلسلتين متقابلتين: سلسلة موسى إلى عيسى، وسلسلة نبيِّنا خيرِ الورى إلى المسيح الموعود الذي جاء في زمنكم هذا، وإنه ما جاء من القريش كما أن عيسى ما جاء من بني إسرائيل، وإنه عِلْمٌ لساعةِ كافّةِ الناس كما كان عيسى عِلْمًا لساعة اليهود. هذا ما أُشيرَ إليه في الفاتحة، وما كان حديث[٣] يُفترى، وقد شهدت السماء بآياتها، وقالت الأرض الوقتُ هذا الوقت، فاتق الله ولا تيأس مِن رَوح الله، والسلام على من اتبع الهدى.

فحاصل الكلام أن القرآن مملوٌّ مِن أن الله تعالى اختار موسى بعدما أهلك القرون الأولى، وآتاه التوراة وأرسل لتأييده النبيين تَتْرا، ثم قفّى على آثارهم بعيسى[٤] واختار محمدا ﷺ بعدما أهلك اليهود وأردى، ولا شك ولا ريب

---

[٢] - *الجاثية:١٧-١٩*

[٣] - *سهو، والصحيح: "حديثًا" كما ورد في الكتاب في مكان آخر. (الناشر)*

[٤] - الحاشية: اعترض عليّ جاهلٌ من بلدة اسمها "جهل" يا ذوي الحصاة، وفي آخرها حرفُ الميم ليدل على مسخ القلب والممات، وفرِح فرحًا شديدًا باعتراضه وشتمني

وذكرني بأقبح الكلمات، وقال إن هذا الرجل يزعم أن عيسى كان من متّبعي موسى، وليس زعمه هذا إلا باطلا، وإنّ كذبه من أجلى البديهيات، بل أُوتيَ عيسى شريعة مستقلّة بالذات، فأغنى الذين كانوا مجتمعين عليه عن شريعة الكليم، وأقام الإنجيل مقام التوراة.

فاعلم أن هذا قولٌ لا يخرج مِن فَمٍ إلا مِن فم الذي نُجِّس بنجاسة الجهل والجهلات، وذابَ أنفُ فطنته بجُذام التعصّبات. وزعَم هذا الجاهل كأنه يستدل على دعواه بالفرقان الذي هو الحَكَم عند الخصومات، وقرأ قوله تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ﴾، يعني ببشارة خير الكائنات. وما فَهِمَ سرَّ هذه الآية وصالَ عليّ بصوت هو أنكر الأصوات، وظن أنه أَوى إلى ركن شديد وسبَّني كالقاذفات المفحشات، وقال إنها دليل واضح على أن الإنجيل شريعة مستقلّة. فيا أسفاً عليه وعلى غيظه الذي أخرجه من الأرض كالحشرات. وإنّ من أشقى الناس مَن لا عقل له ويَعُدّ نفسه من ذوي الحصاة. ويعلم كلُّ صبيّ وصبيّة من المسلمين والمسلمات، فضلاً من البالغين والبالغات، أن القرآن لا يأمر اليهود ولا النصارى أن يتّبعوا كتبهم ويثبُتوا على شرائعهم، بل يدعوهم إلى الإسلام وأوامره، وقد قال الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فكيف يُظَنّ في الله القُدّوس أنه يدعو اليهودَ والنصارى في هذه الآية إلى الإسلام، ويقول إنكم لا تفلحون أبدًا ولا تدخلون الجنة إلا بعد أن تكونوا مسلمين، ولا ينفعكم توراتكم ولا إنجيلكم إلا القرآن، ثم ينسى قولَه الأول ويأمر كلَّ فرقة من اليهود والنصارى أن يثبُتوا على شرائعهم ويتمسّكوا بكتبهم ويكفيهم هذا لنجاتهم. وإنْ هذا إلا جمعُ الضدَّين واختلافٌ في القرآن، واللهُ نزّه كتابه عن الاختلاف بقوله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾، بل الآية التي حرّف المعترض معناها كمثل اليهود تشير إلى أن بشارةَ نبينا ﷺ كانت موجودة في التوراة والإنجيل. فكأن الله يقول ما لهم لا يعملون على وصايا التوراة والإنجيل ولا يُسلِمون؟ نعم، لو

كانت عبارة القرآن بصيغة الماضي ولم يقل ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ بل قال: وكان النصارى يحكمون بالإنجيل فقط، لكان ذلك دليلا على مدّعاه. وأما بقيّة ألفاظ هذه الآيات.. أعني لفظ ﴿فِيهِ هُدًى ونُورٌ﴾ فليس هذا دليلاً على كون الإنجيل شريعة مستقلة. أليس الزبور وغيره من كتب أنبياء بني إسرائيل هدًى للناس؟ أيوجد فيها ظلمة ولا يوجد نور؟ فتَفكّرْ ولا تكنْ من الجاهلين.

وإن النصارى قد اتفقوا على أن عيسى بن مريم ما أتاهم بالشريعة، وإنّا نكتب ههنا شهادة جي. إيه. ليفراي، الذي هو بيشوب لاهور، أعني إمامُ قسوس هذه الناحية، وكفاك هذا إن كنت تخشى مِن سواد الوجه والذلة، ورأينا أن نكتب على حدة هذه الشهادة في الحاشية◘. منه

◘

Bishopsbourne
Lahore
Aug. 15 . 01

Dear Sir,

The Lord Jesus Christ was certainly not a Lawgiver, in the sense in which Moses was, giving a complete descriptive Law about such things as clean and unclean food etc. That he did not do this must be evident to any one who reads the New Testament with any care or thought whatever. The Mosaic Law of meats etc., was given in order to develop in the minds of men who were in a very elementary stage of education and religion, the sense of law, and gradually of Holiness and the reverse. It is therefore called in the New Testament a "Schoolmaster to bring us the Christ" (Gal., iii.24) for it developed a conscience in man which, when awakened, could not find rest in any external or purely ceremonial acts but needed an inner righteousness of heart and life. And it was to bring this that Christ came, By His life and death he both deepened in man's minds the sense of what sin really is and how terrible it is and also showed men how they could be reconciled to God, obtaining forgiveness of sins and also power by the gift of the Holy Spirit to live a new life in real holiness, and in love to God and man. What the characteristics of that new life are, you can see by reading the Sermon on the Mount, St. Mathew chapters V - VII.

وفيما يلي ترجمة هذه الرسالة الإنجليزية (مِن قبل الناشر):

أن السلسلة الموسوية والمحمدية قد تقابلتا، وكذلك أراد الله وقضى. وأما عيسى فهو من خدام الشريعة الإسرائيلية ومِن أنبياء سلسلة موسى، وما أوتي له شريعة كاملة مستقلة، ولا يوجد في كتابه تفصيل الحرام والحلال والوراثة

بيشوبسبورن، لاهور
١٥ أغسطس ١٩٠١
سيدي العزيز،

لم يكن الرب يسوع المسيح صاحبَ شريعة بالمعنى الذي كان عليه موسى حيث كان صاحبَ شريعة كاملة تصف الأشياء مثل الأطعمة الطاهرة والدنسة.... الخ. وكونه لم يفعل هذا يجب أن يكون واضحا لكل مَن يقرأ العهد الجديد بأي حرص أو فكر ما. إن القانون الموسوي عن اللحوم وغيرها قد أُعطيَ مِن أجل تنمية الإحساس بالقانون في عقول الناس الذين كانوا في المراحل الأولية من التعليم والدين، وبالتدريج يعلّمهم ما هو طاهر وما هو غير طاهر، ولذلك فهو يُسمّى في العهد الجديد: "مؤدِّبنا إلى يسوع المسيح" (غلاطية ٣: ٢٤) لأنه أنشأ إحساسا في الإنسان، حينما يُوقظ لا يجد الراحة في أية طقوس أو حركات ظاهرية بحتة، ولكن يحتاج إلى الصفاء الداخلي للقلب والحياة. ومن أجل تحقيق هذا جاء المسيح، فقد عمّق، بحياته وموته، في عقول الناس الإحساسَ بما تعني الخطيئة في الحقيقة وما مدى فظاعتها، وبيّن للناس كيف يمكن لهم أن يتصالحوا مع الرب، ويحصلوا على المغفرة للخطايا، وعلى القوة بهبة الروح القدس، ليعيشوا حياة جديدة في قدسية حقيقية، وفي محبة لله وللإنسان. أما ماذا كانت خصائص هذه الحياة الجديدة فتستطيع أن تراها بقراءةٍ موعظةِ الجبل في إنجيل متّى الإصحاح ٥ - ٧.

توقيع
جي. إيه. ليفراي، بيشوب لاهور

والنكاح ومسائل أخرى، والنصارى يُقرّون به ولذلك ترى التوراة في أيديهم كما ترى الإنجيل، وقال بعض فِرقهم إنا نُجّينا من أثقال شريعة التوراة بكفّارةِ دم عيسى، وأما بعضهم الآخرون فيُحرّمون ما حرّم التوراةُ ولا يأكلون الخنـــزير، كمثل نصارى أرمينيا، وهم أقدمُ مِن فِرق أخرى في المدى. واتفق كلهم على أن عيسى أتى بفضل من الله، وأن موسى أتى بالشريعة، وسمّوهما عهد الشريعة وعهد الفضل[٥]، وسمّوا الأول عتيقا والآخر جديدا، فاسألهم إن كنت تشك في هذا.

فملخص كلامنا أن الله توجّهَ إلى بني إسرائيل رحمةً منه فأقام سلسلة بموسى وأتمّها بعيسى، وهو آخر لبنة لها، ثم توجّهَ إلى بني إسماعيل فأقام سلسلة نبينا المصطفى، وجعله مثيلَ الكليم ليُرِي المقابلة في كل ما أتى، وختم هذه السلسلة على مثيل عيسى، ليتم النعمة على هذه السلسلة كما أتمّها على السلسلة الأولى. وإن كانت السلسة المحمدية خالية من هذا المسيح المحمدي.. فتلك إذًا قسمة ضيزى! ففَكِّروا كل الفكر، وليس النُهى إلا لهذا الأمر يا أولي النُهى، ولا يُنجي المرءَ إلا الصدقُ فاطلبوه بِدَقِّ بابِ الحضرة، وأقبِلوا على الله كل الإقبال لهذه الخطة، وادعوه في جوف الليالي وخرّوا باكين لله ذي العزة والجبروت، ولا تمرّوا ضاحكين هامزين واستعيذوا بالله من الطاغوت.

يا عبادَ الله، تَذكّروا وتيقّظوا، فإن المسيح الحَكَم قد أتى، فاطلبوا العِلم السماوي ولا تُقوِّموا متاعكم في حضرة المولى. ووالله إني من الله أتيتُ وما

[٥] – اعتاد نصارى العرب أن يترجموه إلى "عهد النعمة". (الناشر)

افتريتُ، وقد خاب من افترى. إن أيام الله قد أتت، وحسرات على الذي أبى، ولا يُفلح الْمُعرِضُ حيث أتى. والحق والحق أقول.. إن مجيء المسيح من هذه الأمّة كان أمرا مفعولا من الحضرة من مُقتضى الغيرة، وكان قُدِّرَ ظهوره مِن يوم الخِلقة، والسر فيه أن الله أراد أن يجعل آخر الدنيا كأولها في نفي الغيْر والمَحْوِ في طاعة الحضرة الأحدية، وإسلاكِ الناس في سلك الوحدة الطبْعِيَّة بعدما دُعوا إلى الوحدة القهرية، وكان الناس مُفترقين إلى الفرق المختلفة، والآراء المتنوّعة، والأهواء المتخالفة، ومطيعين للحكومة الشيطانية الدجّالية الظلمانية، وما كانوا منفكّين حتى تنـــزل عليهم فوج من السكينة، والشيطان الذي هو ثعبان قديم ودجّال عظيم ما كان مُخلِّصَهم مِن أسره، وكان يريد أن يأكلهم كلهم ويجعلهم وقودَ النار، لأنه نظر إلى أيامه ورأى أنه ما بقِي من أيام الإنظار إلا قليلا فخاف أن يكون من المغلوبين بما لم يكن من المنظَرين إلا إلى هذا الحين، فرأى أنه هالك باليقين، فأراد أن يصول صولاً هو خاتم صولاته وآخر حركاته، فجمع كلَّ ما عنده من مكائده وحِيَله وسلاحه وسائر الآلات الحربية، فتحرّكَ كالجبال السائرة، والبحار الزاخرة بجميع أفواجه ليدخل حمى الخلافة مع ذُرّياته، فعند ذلك أنزل الله مسيحه من السماء بالحربة السماوية، ليكون بين الكفر والإيمان فيصلةُ القسمة، وأنزل معه جنده من آياته وملائكة سماواته، فاليوم يوم حرب شديد وقتال عظيم بين الدّاعي إلى الله وبين الدّاعي إلى غيره. إنها حرب ما سُمع مثلها في أول الزمن ولا يُسمع بعده. اليوم لا يترك الدجال المفتعل ذرةً من مكائده إلا يستعملها، ولا المسيحُ المبتهِل ذرّةً من الإقبال على الله والتوجّه

إلى المُبدئ إلا ويستوفيها، ويحاربان حربا شديدا حتى يُعجِبَ قوتُّهما وشدتُّهما كلَّ من في السماء، وترى الجبالُ قَدَمَ المسيح أرسخَ من قدَمها، والبحارُ قلبَه أرقَّ وأجرى من مائها، وتكون محاربة شديدة، وتنجرّ الحربُ إلى أربعين سنة من يوم ظهور المسيح حتى يُسمَع دعاء المسيح لتقواه وصدقه، وتنـــزل ملائكة النصرة، ويجعل الله الهزيمة على الثعبان وفوجِه منّةً على عبده، فترجع قلوب الناس من الشرك إلى التوحيد، ومن حب الشيطان إلى حب الله الوحيد، وإلى المَحْوِيَّة من الغَيْريّة، وإلى تركِ النفس من الأهواء النفسانية، فإن الشيطان يدعو إلى الهوى والقطيعة، والمسيح يدعو إلى الاتحاد والمَحْوِيَّة، وبينهما عداوة ذاتية من الأزل، وإذا غلب المسيح فاختتم عند ذلك محاربات كلها التي كانت جارية بين العساكر الرحمانية والعساكر الشيطانية. فهناك يكون اختتام دور هذه الدنيا ويستدير الزمان وترجع الفطرة الإنسانية إلى هيئتها الأولى، إلا الذين أحاطتهم الشقوة الأزلية فأولئك من المحرومين.

ومِن فضل الله وإحسانه أنه جعل هذا الفتح على يد المسيح المحمّدي ليُرِي الناس أنه أكملُ من المسيح الإسرائيلي في بعض شؤونه، وذلك من غيرة الله التي هيّجها النصارى بإطراء مسيحهم، ولما كان شأن المسيح المحمدي كذلك فما أكبرَ شأنَ نبيٍّ هو من أمّته! اللهم صلّ عليه سلاما لا يُغادر برَكةً من بركاتك، وسَوِّدْ وجوهَ أعدائه بتأييداتك وآياتك. آمين.

الراقم ميرزا غلام أحمد من مقام القاديان، الفنجاب

لخمس وعشرين من أغسطوس سنة ١٩٠١م

الباب الأول[٦]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ

يَا عِبَادَ اللهِ.. فَكِّرُوا في يَوْمِكُمْ هذا يَوْمِ الأَضْحَى، فَإِنَّهُ أُودِعَ أَسْرَارًا لأُولِي النُّهَى. وَتَعْلَمُونَ أَنَّ في هذا الْيَوْمِ يُضَحَّى بِكَثِيرٍ مِنَ الْعَجْمَاوَاتِ، وَتُنْحَرُ آبالٌ مِنَ الْجِمَالِ وَخَنَاطِيلُ مِنَ الْبَقَرَاتِ، وَتُذْبَحُ أَقَاطِيعُ مِنَ الْغَنَمِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّ الْكَائِنَاتِ، وَكَذَلِكَ يُفْعَلُ من ابْتِدَاءِ زَمَانِ الإِسْلامِ، إِلَى هذهِ الأَيَّامِ، وَظَنِّي أَنَّ الأَضَاحِي فِي شَرِيعَتِنَا الْغَرَّاءِ، قَدْ خَرَجَتْ مِنْ حَدِّ الإِحْصَاءِ، وَفَاقَتْ ضَحَايَا الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ مِنْ أُمَمِ الأَنْبِيَاءِ، وَبَلَغَتْ كَثْرَةُ الذَّبَائِحِ إِلَى حَدٍّ غُطِّيَ بِهِ وَجْهُ الأَرْضِ مِنَ الدِّمَاءِ، حَتَّى لَوْ جُمِعَتْ دِمَاؤُهَا وَأُرِيدَ إِجْرَاؤُها، لَجَرَتْ مِنْهَا الأَنْهَارُ، وَسَالَتِ الْبِحَارُ، وَفَاضَتِ الْغُدْرُ وَالأَوْدِيَةُ الْكِبَارُ.

وَقَدْ عُدَّ هذا الْعَمَلُ في مِلَّتِنَا مِمَّا يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَه، وَحُسِبَ كَمَطِيَّةٍ تُحَاكِي الْبَرْقَ في السَّيْرِ وَلَمْعَانَه؛ فَلأَجْلِ ذَلِكَ سُمِّيَ الضَّحَايَا قُرْبَانًا، بِمَا وَرَدَ أَنَّهَا تَزِيدُ قُرْبًا وَلُقْيَانًا، كُلَّ مَنْ قَرَّبَ إِخْلاَصًا وَتَعَبُّدًا وَإِيمَانًا. وَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ نُسُكِ الشَّرِيعَةِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِالنَّسِيكَةِ. وَالنُّسُكُ الطَّاعَةُ وَالْعِبَادَةُ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَذَلِكَ جَاءَ لَفْظُ النُّسُكِ بِمَعْنَى ذَبْحِ الذَّبِيحَةِ. فَهذا الاشْتِرَاكُ يَدُلُّ قَطْعًا عَلَى أَنَّ الْعَابِدَ فِي الْحَقِيقَةِ، هُوَ الَّذِي ذَبَحَ نَفْسَهُ وَقُوَاهُ وَكُلَّ مَنْ أَصْبَاهُ

[٦] – *هذا العنوان لم يرد في الطبعة الأولى، إنما وضعناه نحن. (الناشر)*

لِرِضَى رَبِّ الْخَلِيقَة، وَذَبَّ الْهَوَى حَتَّى تَهَافَتَ وَانْمَحَى، وَذَابَ وَغَابَ وَاخْتَفَى، وَهَبَّتْ عَلَيْه عَوَاصِفُ الْفَنَاء، وَسَفَتْ ذَرَّاته شَدَائِدُ هذه الْهَوْجَاء. وَمَنْ فَكَّرَ فِي هَذَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ الْمُشْتَرَكَيْنِ، وَتَدَبَّرَ الْمَقَامَ بِتَيَقُّظِ الْقَلْبِ وَفَتْحِ الْعَيْنَيْنِ، فَلا يَبْقَى لَهُ خفَاءٌ وَلا مرَاءٌ، فِي أَنَّ هذا إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ الْمُنْجِيَةَ مِنَ الْخَسَارَة، هِيَ ذَبْحُ النَّفْسِ الأَمَّارَة، وَنَحْرُهَا بِمُدَى الانْقِطَاعِ إِلَى الله ذي الآلاءِ وَالأَمْرِ وَالإِمَارَة، مَعَ تَحَمُّلِ أَنْوَاعِ الْمَرَارَة، لِتَنْجُوَ النَّفْسُ مِنْ مَوْتِ الْغَرَارَة. وَهذا هُوَ مَعْنَى الإِسْلامِ، وَحَقِيقَةُ الانْقِيَاد التَّامِّ. وَالْمُسْلِمُ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَهُ نَحَرَ نَاقَةَ نَفْسه وَتَلَّهَا لِلْجَبِينِ، وَمَا نَسِيَ الْحَيْنَ فِي حِينٍ.

فَحَاصِلُ الْكَلامِ.. أَنَّ النُّسُكَ وَالضَّحَايَا فِي الإِسْلامِ، هِيَ تَذْكِرَةٌ لِهذا الْمَرَامِ، وَحَثٌّ عَلَى تَحْصِيلِ هذا الْمَقَامِ، وَإِرْهَاصٌ لِحَقِيقَة تَحْصُلُ بَعْدَ السُّلُوك التَّامِّ. فَوَجَبَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَة كَانَ يَبْتَغِي رِضَاءَ الله الْوَدُود، أَنْ يَفْهَمَ هذه الْحَقِيقَةَ وَيَجْعَلَهَا عَيْنَ الْمَقْصُود، وَيُدْخِلَهَا فِي نَفْسه حَتَّى تَسْرِيَ فِي كُلِّ ذَرَّة الْوُجُود، وَلا يَهْدَأَ وَلا يَسْكُنَ قَبْلَ أَدَاءِ هذه الضَّحِيَّة لِلرَّبِّ الْمَعْبُود، وَلا يَقْنَع بِنَمُوذَجٍ وَقِشْرٍ كَالْجُهَلاءِ وَالْعُمْيَان، بَلْ يُؤَدِّي حَقِيقَةَ أَضْحَاته، وَيَقْضِي بِجَمِيعِ حَصَاته وَرُوحِ تُقَاته، رُوحَ الْقُرْبَان. هذا هُوَ مُنْتَهَى سُلُوك السَّالكِينَ، وَغَايَةُ مَقْصِد الْعَارِفِينَ، وَعَلَيْه يَخْتَتِمُ جَمِيعُ مَدَارِجِ الأَتْقِيَاء، وَبِه يَكْمُلُ سَائِرُ مَرَاحِلِ الصِّدِّيقِينَ وَالأَصْفِيَاء، وَإِلَيْه يَنْتَهِي سَيْرُ الأَوْلِيَاء.

وَإِذَا بَلَغْتَ إِلَى هذا فَقَدْ بَلَّغْتَ جُهْدَكَ إِلَى الانْتِهَاء، وَفُزْتَ بِمَرْتَبَة الْفَنَاء، فَحِينَئِذٍ تَصِلُ شَجَرَةُ سُلُوكِكَ إِلَى أَتَمِّ النَّمَاءِ، وَتَصِلُ عُنُقُ رُوحِكَ إِلَى لُعَاعِ

رَوْضَةِ الْقُدْسِ وَالْكِبْرِيَاءِ، كَالنَّاقَةِ الْعَنْقَاءِ، إِذَا أَوْصَلَتْ عُنُقَهَا إِلَى الشَّجَرَةِ الْخَضْرَاءِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ جَذَبَاتٌ وَنَفَحَاتٌ وَتَجَلِّيَاتٌ مِنَ الْحَضْرَةِ الأَحَدِيَّةِ، لِيَقْطَعَ بَعْضَ بَقَايَا عُرُوقِ الْبَشَرِيَّةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ إِحْيَاءٌ، وَإِبْقَاءٌ وَإِدْنَاءٌ، لِلنَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ الرَّاضِيَةِ الْمَرْضِيَّةِ الْفَانِيَةِ، لِيَسْتَعِدَّ الْعَبْدُ لِقَبُولِ الْفَيْضِ بَعْدَ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ يُكْسَى الإِنْسَانُ الْكَامِلُ حُلَّةَ الْخِلافَةِ مِنَ الْحَضْرَةِ، وَيُصَبَّغُ بِصِبْغِ صِفَاتِ الأُلُوهِيَّةِ، عَلَى وَجْهِ الظِّلِّيَّةِ، تَحْقِيقًا لِمَقَامِ الْخِلافَةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَنْزِلُ إِلَى الْخَلْقِ لِيَجْذِبَهُمْ إِلَى الرُّوحَانِيَّةِ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ الأَرْضِيَّةِ إِلَى الأَنْوَارِ السَّمَاوِيَّةِ، وَيُجْعَلُ وَارِثًا لِكُلِّ مَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّرَايَةِ، وَشُمُوسِ الْقُرْبِ وَالْوَلايَةِ، وَيُعْطَى لَهُ عِلْمُ الأَوَّلِينَ وَمَعَارِفُ السَّابِقِينَ مِنْ أُولِي الأَبْصارِ وَحُكَمَاءِ الْمِلَّةِ، تَحْقِيقًا لِمَقَامِ الْوِرَاثَةِ.

ثُمَّ يَمْكُثُ هذا الْعَبْدُ فِي الأَرْضِ إِلَى مُدَّةٍ شَاءَ رَبُّهُ رَبُّ الْعِزَّةِ، لِيُنِيرَ الْخَلْقَ بِنُورِ الْهِدَايَةِ. وَإِذَا أَنَارَ النَّاسَ بِنُورِ رَبِّهِ أَوْ بَلَّغَ الأَمْرَ بِقَدرِ الْكِفَايَةِ، فَحِينَئِذٍ يَتِمُّ اسْمُهُ وَيَدْعُوهُ رَبُّهُ وَيُرْفَعُ رُوحُهُ إِلَى نُقْطَتِهِ النَّفْسِيَّةِ. وَهذا هُوَ مَعْنَى الرَّفْعِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَالْمَرْفُوعُ مَنْ يُسْقَى كَأْسَ الْوِصَالِ، مِنْ أَيْدِي الْمَحْبُوبِ الَّذِي هُوَ لُجَّةُ الْجَمَالِ، وَيُدْخَلُ تَحْتَ رِدَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ مَعَ الْعُبُودِيَّةِ الأَبَدِيَّةِ. وَهذا آخِرُ مَقَامٍ يَبْلُغُهُ طَالِبُ الْحَقِّ فِي النَّشْأَةِ الإِنْسانِيَّةِ.

فَلا تَغْفَلُوا عَنْ هذا الْمَقَامِ يَا كَافَّةَ الْبَرَايَا، وَلا عَنِ السِّرِّ الَّذِي يُوجَدُ فِي الضَّحَايَا، وَاجْعَلُوا الضَّحَايَا لِرُؤْيَةِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ كَالْمَرَايَا، وَلا تَذْهَلُوا عَنْ

هذه الْوَصَايَا، وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا رَبَّهُمْ وَالْمَنَايَا.

وَقَدْ أُشِيرَ إِلَى هذا السِّرِّ الْمَكْتُومِ، فِي كَلامِ رَبِّنَا الْقَيُّومِ، فَقَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٧]. فَانْظُرْ كَيْفَ فَسَّرَ النُّسُكَ بِلَفْظِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَشَارَ بِهِ إِلَى حَقِيقَةِ الأَضْحَاةِ، فَفَكِّرُوا فِيهِ يَا ذَوِي الْحَصَاةِ. وَمَنْ ضَحَّى مَعَ عِلْمِ حَقِيقَةِ ضَحِيَّتِهِ، وَصِدْقِ طَوِيَّتِهِ، وَخُلُوصِ نِيَّتِهِ، فَقَدْ ضَحَّى بِنَفْسِهِ وَمُهْجَتِهِ، وَأَبْنَائِهِ وَحَفَدَتِهِ، وله أجرٌ عظيم، كأجرِ إبراهيم عند ربه الكريم. وإليه أشار سيّدُنا المصطفى، ورسولنا المجتبى، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، وقال وهو بعد الله أصدقُ الصادقين: إن الضحايا هي المطايا، تُوصِل إلى ربِّ البرايا، وتمحو الخطايا، وتدفع البلايا. هذا ما بلغَنا مِن خير البريّة، عليه صلوات الله والبركات السنيّة، وإنه أومأَ فيه إلى حِكَمِ الضحيّة، بكلمات كالدرر البهيّة.

فالأسف كل الأسف أن أكثر الناس لا يعلمون هذه النكاتِ الخفيّةَ، ولا يتّبعون هذه الوصيّة. وليس عندهم معنى العيد، مِن دون الغسلِ ولَبْسِ الجديد، والخَضْمِ والقَضْمِ مع الأهل والخدم والعبيد، ثم الخروج بالزينة للتعييد كالصناديد. وترى الأطائبَ من الأطعمة منتهى طَرَبِهم في هذا اليوم، والنفائسَ من الألبسة غايةَ أَرَبِهم لإراءة القوم. ولا يَدْرون ما الأَضْحاةُ، ولأَيِّ غرضٍ يُذبَح الغنمُ والبقرات. وعندهم عيدُهم من البُكرة إلى العشيّ، ليس إلا للأكل والشرب والعيش الهنيّ، واللباس البهيّ، والفرس الشريّ،

---

[٧] - الأنعام: ١٦٣

واللحم الطريّ. وما ترى عَمَلَهم في يومهم هذا إلا اكتساءَ الناعماتِ، والمشطَ والاكتحالَ وتضميخَ الملبوسات، وتسويةَ الطُرَر والذوائب كالنساء المتبرجات، ثم نقراتٍ كنقرةِ الدجاجة في الصلاة، مع عدم الحضور وهجومِ الوساوس والشتات، ثم التمايلَ إلى أنواع الأغذية والمطعومات، ومَلْءِ البطونِ بألوان النِّعَم كالنَّعَم والعجماوات، والميلَ إلى الملاهي والملاعب والجهلات، وسَرْح النفوس في مراتع الشهوات، والركوبَ على الأفراس والعجل والعَناسِ، والجِمال والبِغال ورقاب الناس، مع أنواع من التزيينات، وإفناءَ اليوم كله في الخزعبيلات، والهدايا من القلايا، والتفاخر بلحوم البقرات والجدايا، والأفراح والمِراح، والجذبات والجِماح، والضحك والقهقهة، بإبداء النواجذ والثنايا، والتشوق إلى رقص البغايا، وبوسِهن وعِناقهن، وبعد هذا نِطاقِهن.

فإنا لله على مصائب الإسلام، وانقلاب الأيام! ماتت القلوب، وكثرت الذنوب، واشتدت الكروب. فعند هذه الليلة الليلاء، وظلماتِ الهوجاء، اقتضى رحمُ الله نورَ السماء[8]. فأنا ذلك النور، والمجدِّد المأمور، والعبد

---

[8] - *هنا في الأصل حاشية بالأردية، ونقدّم فيما يلي تعريبها: (الناشر)*

"وما ورد في الأحاديث أن المسيح الموعود نازل، فلفظ النزول قد اختيرَ للإشارة إلى أنه سيأتي في زمن تحيط فيه الظلمة بالأرض كلها، وترتفع منها الديانةُ والأمانة والصدق، وتمتلئ ظلمًا وجورًا، فيُنزل الله من السماء نورا ينير به الأرض ثانيةً. إنه سينزل مِن فوق لأن النور ينزل من فوق دائما. وقد وُصف زمان المسيح الموعود بأنه ستنقطع فيه أسباب نشر الإسلام كلها، ولن تكون للمسلمين يدان، لأن غيرة الله تريد إزالة الاعتراض القائل أن الإسلام قد انتشر بحد السيف. فالأمرُ في زمن المسيح

المنصور، والمهدي المعهود، والمسيح الموعود. وإني نزلتُ بمنــزلةٍ مِن ربي لا يعلَمها أحد من الناس. وإن سرِّي أَخفَى وأَنْأَى مِن أكثر أهل الله فضلاً عن عامة الأناس. وإن مقامي أبعدُ من أيدي الغوّاصين، وصعودي أرفعُ من قياس القائسين. وإن قدمي هذه أسرعُ من القِلاص في مسالك رب الناس. فــلا تقيسوني بأحد ولا أحدًا بي، ولا تُهلِكوا أنفسكم بالريب والعَماس. وإني لُبٌّ لا قشرَ معه، وروحٌ لا جسدَ معه، وشمس لا يحجبها دخانُ الشِّماس. واطلبوا مثلي، ولن تجدوه وإن تطلبوه بالنبراس. ولا فخرَ، ولكن تحديث لــنعم الله الذي هو غارس لهذا الغراس. وإني غُسّلتُ بماء النور، وطُهّرتُ بعين القُدسِ من الأوساخ والأدناس، وسمّاني ربي أحمدَ، فاحمَــدُوني ولا تــشتموني ولا تُوصِلوا أمركم إلى الإبلاس. ومَن حمدني وما غادرَ مِن نوعِ حمدٍ فما مــانَ، ومَن كذّب هذا البيانَ فقد مانَ وأغضبَ الرحمنَ. فويلٌ للذي شَكَّ، وفسَخ

الموعود أن ترجع السيوف إلى الأغماد، فلا يرفع أحد السيف لنشر الدين، ومَن رفعه هُزم على أيدي الكفار هزيمة نكراء، ولقيَ الذل والهوان. فكما أن جماعة موسى عليه السلام التي أخرجها من مصر هُزمت دائمًا في حروب لم تكن موافقة لمشيئة موسى، فهكذا سيكون الحال الآن أيضا، لأن نزول المسيح الموعود من السماء يرمز إلى أن يده لن تلمس أسباب الأرض، وإنما يروي بستان الإسلام بماء السماء فقط، لأن الله تعالى يريد الآن أن يُري معجزةً أن الإسلام ليس بحاجة إلى سيف أو أسباب بشرية لانتشاره، فمن يرفع السيف بعد هذا النهي الصريح الوارد في حديث "يضع الحرب" ويريد أن يكون من الغزاة، فكأنما يريد أن يجعل تلك المعجزة التي يريد الله إظهارها الآن مشتبهة، أي أنه سبحانه وتعالى يريد أن يجعل الإسلام غالبا على الأرض ومحبوبا الى الخلائق من دون أسباب بشرية". منه

العهدَ وفَكَّ، ولوَّث بطائفٍ من الجنّ الجَنانَ.

وإني جئت من الحضرة الرفيعة العالية، لِيُرِيَ بي ربي مِن بعض صفاته الجلالية والجمالية، أعني دَفْعَ الضير، وإفاضةَ الخير. فإن الزمان كان محتاجا إلى دافعِ شرٍّ طَغى، وإلى رافعِ خيرٍ انحطّ واختفى، فاقتضت العنايةُ الإلهية أن يُعطَى الزمانُ ما سأل بلسان الحال، ويُرحَم طبقاتُ النساء والرجال، فجعَلني مَظْهَرَ المسيحِ عيسى ابنِ مريم لدفعِ الضرِّ وإبادةِ مَوادِّ الغوايةِ، وجعلني مظهرَ النبيِّ المهديِّ أحمَدَ أكرَمَ لإفاضةِ الخير وإعادةِ عِهادِ الدراية والهداية، وتطهيرِ الناس من درن الغفلة والجِناية. فجئتُ في الحُلّتَين المَهْزُودتين المصبَّغتين بصبغ الجلال وصبغ الجمال، وأُعطيتُ صفةَ الإفناء والإحياء من الربّ الفعّال. فأما الجلال الذي أُعطيتُ فهو أثرٌ لِبُروزي العِيسويِّ من الله ذي الجلال[٩]، لأُبيدَ به شَرَّ الشِّركِ الموّاج الموجود في عقائد أهل الضلال، المشتعلِ بكمال الاشتعال، الذي هو أكبر من كل شرّ في عين الله عالِم الأحوال، ولأَهْدِمَ به عمودَ الافتراء على الله والافتعال.

وأما الجمال الذي أُعطيتُ فهو أثرٌ لِبُروزي الأحمديِّ من الله ذي اللطف والنوال، لأُعيدَ به صلاح التوحيد المفقود من الألسن والقلوب والأقوال والأفعال، وأقيمَ به أَمْرَ التديّن والانتحال.

[٩] – قد قلتُ غيرَ مرة إني ما أتيتُ بالسيف ولا السِّنان، وإنما أتيتُ بالآيات والقوّة القدسية وحسن البيان، فجلالي من السماء لا بالجنود والأعوان. منه

وأُمرتُ أن أقتل[١٠] خنازير الإفساد والإلحاد والإضلال، الذين يدوســون دُرَرَ الحقِّ تحت النعال، ويُهلِكون حرث الناس ويُخرِبــون زروع الإيمــان والتورع والأعمال. وقتلي هذا بحربة سماوية لا بالسيوف والنِّبال، كما هــو زعم المحرومين من الحق وصدق المقال، فإنهم ضلّوا وأضلّوا كثيرًا من الجهّال. وإن الحرب حُرّمتْ عليّ، وسبق لي أن أضع الحرب ولا أتوجه إلى القتــال. فلا جهادَ إلا جهاد اللسان والآيات والاستدلال.

وكذلك أُمرتُ أن أملأ بيوتَ المؤمنين وجُرُبَهم من المــال، ولكــن لا باللُّجَين والدجّال، بل بمال العلم والرشد والهداية واليقين على وجه الكمال، وجعلِ الإيمان أثبَتَ من الجبال، وتبشيرِ المُثقَلين تحت الأثقال.

فبشرى لكم قد جاءكم المسيح، ومسَحه القادرُ وأعطى لــه الكــلام الفصيح، وإنه يعصمكم مِن فِرقةٍ هي للإضــلال تــسيح، وإلى الله يــدعو ويصيح، وكلَّ شبهةٍ يُزيل ويُزيح. وطوبى لكم قد جاءكم المهدي المعهــود، ومعه المال الكثير والمتاع المنضود، وإنه يسعى ليردَّ إليكم الغــنى المفقــودَ، ويستخرجَ الإقبالَ الموءودَ. ما كان حديث[١١] يفترى، بل نور من الله مــع آيات كبرى.

أيها الناس.. إني أنا المسيح المحمدي، وإني أنا أحمَدُ المهدي، وإن ربي معي إلى يوم لَحْدي من يومِ مهدي. وإني أُعطيتُ ضِرامًا أكّالاً، وماءً زُلالاً، وأنا

---

[١٠] - اللفظ لفظ الحديث كما جاء في البخاري، والمراد من القتل إتمام الحجة وإبطال الباطل بالدلائل القاطعة والآيات السماوية، لا القتل حقيقةً. منه

[١١] - *سهو، والصحيح: "حديثًا" كما ورد في الكتاب في مكان آخر. (الناشر)*

كوكبٌ يمانيّ، ووابلٌ روحانيّ. إيذائي سِنانٌ مذرَّب، ودعائي دواءٌ مجــرَّب. أُرِي قومًا جلالا، وقومًا آخرين جمالا، وبِيَدِي حربةٌ أُبيدُ بها عاداتِ الظلــم والذنوب، وفي الأخرى شربةٌ أُعيدُ بها حياةَ القلوب. فاسٌ للإفناء، وأنفــاسٌ للإحياء. أما جلالي فبما قُصِدَ كابن مريم استيصالي، وأما جمالي فبما فارتْ رحمتي كسَيِّدي أحمَدَ لأَهدِيَ قومًا غفلوا عن الربّ المتعالي.

أفأنتم تعجَبون، وإلى الزمان وضرورته لا تلتفتون؟ ألا ترون إلى زمــانٍ احتاج إلى الربّ الفعّال، ليُرِيَ لقومٍ صفةَ جلاله وللآخرين صفةَ الجمــال؟ وقد ظهرت الآياتُ، وتبيّنت العلامات، وانقطعت الخصومات، فما لكم لا تنظرون؟ وانكسفت الشمسُ والقمر في رمضان فلا تعرفون. ومات بعــض الناس بنبأٍ من الله وقُتِلَ البعض فلا تُفكِّرون. ونزلتْ لي آيٌ كثيرة فلا تبالون. وشهدتْ لي الأرض والسماء، والماء والعَفاء فلا تخافون. وتظاهَرَ لي العقــلُ والنقل والعلامات والآيات، وتظاهرت الشهاداتُ والرؤيا والمكاشــفات، ثم أنتم تنكرون. وإن لها شأنا عظيما لقوم يتدبرون. وطلَع ذو السِّنينَ، ومضى من هذه المائة خُمْسُها إلا قليل من سنين، فأين المجدِّد إن كنــتم تعلمــون؟ ونزل من السماء الطاعونُ، ومُنِعَ الحجُّ وكثُر المَنونُ، واختصمَ الفِرقُ علــى معدنٍ من ذهبٍ وهم يقاتلون. وعلا الصليب، وأضحى الإســلام يــسيب ويغيب كأنه الغريب، وكثُر الفسق والفاسقون. وحُبِّبَ إلى النفوس الخمــرُ والقَمْرُ والزَّمْرُ، وتراءَى الزانون المجالحون وقَلَّ المتّقون، وتجلَّى وقتُ ربّنا وتمّ ما قال النبيون، فبأي حديث بعده تؤمنون؟

أيها الناس، قُوموا للهِ زُرافاتٍ وفُرادى فُرادى، ثم اتّقوا اللهَ وفَكِّروا كالذي

ما بخل وما عادى، أليس هذا الوقت وقتَ رحمِ الله على العباد، ووقتَ دفعِ الشرّ وتدارُكِ عَطَشِ الأكباد بالعِهاد؟ أليس سيلُ الشرِّ قد بلَغ انتهاءَه، وذيلُ الجهلِ طوَّل أرجاءَه، وفسَد المُلك كله وشكَر إبليسُ جهلاءَه؟ فاشكروا اللهَ الذي تَذكَّرَكم وتذكَّرَ دينَكم وما أضاعَه، وعصَم حَرْثَكم وزرعكم ولُعاعَه، وأنزلَ المطر وأكمل أبضاعَه، وبعَث مسيحَه لدفع الضير، ومهديَّه لإفاضة الخير، وأدخلَكم في زمانِ إمامكم بعد زمان الغير.

أيها الإخوان.. إن زماننا هذا يضاهي شَهْرَنا هذا بالتناسب التام، فإنه آخرُ الأزمنة، وإن هذا الشهر آخرُ الأشهر من شهور الإسلام، وكلاهما قريب من الاختتام، في هذا ضحايا وفي ذلك ضحايا، والفرقُ فرقُ الأصل وعكس المرايا، وقد سبق نموذجُها في زمن خير البرايا. والأصل ضحيّةُ الروح يا أولي الأبصار، وإن ضحايا الجدايا كالأظلال والآثار، فافهموا سِرَّ هذه الحقيقة، وأنتم أحقّ بها وأهلُها بعد الصحابة. وإنكم الآخرون منهم، أُلْحِقتم بهم بفضل من الله والرحمة.

وإن سلسلة الأزمنة خُتمتْ على زماننا من حضرة الأحديّة، كما خُتمتْ شهور الإسلام على شهر الضحيّة، وفي هذا إشارة مخفية لأهل الرأي والرويّة.

وإني على مقام الختم من الولاية، كما كان سيدي المصطفى على مقام الختم من النبوة. وإنه خاتم الأنبياء، وأنا خاتم الأولياء، لا وليَّ بعدي، إلا الذي هو مني وعلى عهدي. وإني أُرسلتُ من ربي بكل قوة وبركة وعزة، وإن قدمي هذه على منارةٍ خُتِمَ عليها كلُّ رفعة. فاتقوا الله أيها الفتيان،

واعرفوني وأطيعوني ولا تموتوا بالعصيان. وقد قرُب الزمان، وحان أن تُسأل كلُّ نفس وتُدانُ. البلايا كثيرة ولا ينجيكم إلا الإيمان، والخطايا كبيرة ولا تُذوِّبُها إلا الذَّوَبانُ. اتّقُوا عذابَ الله أيها الأعوان، ولمن خاف مقامَ ربّه جنّتان. فلا تقعُدوا مع الغافلين والذين نسوا المنايا، وسارِعوا إلى الله واركَبوا على أعدى المطايا، واتركوا ذواتِ الضَّلْعِ والرذايا، تصِلوا إلى ربّ البرايا. خُذوا الانقطاعَ الانقطاعَ ليوهَب لكم الوصلُ والاقترابُ، وكَسِّروا الأسبابَ ليُخلَق لكم الأسبابُ، ومُوتوا ليُرَدَّ إليكم الحياةُ أيها الأحباب.

اليوم تمّت الحجّةُ على المخالفين، وانقطعتْ معاذير المعتذرين، ويئِس منكم زُمَرُ المضلِّين والموسوسين، الذين أكلوا أعمارهم في ابتغاء الدنيا وليس لهم حظّ من الدين، بل هم كالعَمِين. فاليوم أنقضَ الله ظهورَهم ورجعوا يائسين. اليوم حصحص الحق للناظرين، واستبان سبيل المجرمين، ولم يبقَ مُعرِض إلا الذي حبَسه حرمانٌ أزليّ، ولا منكرٌ إلا الذي منَعه عدوانٌ فطريّ، فنترك هؤلاء بسلام، وقد تمّ الإفحام، وتحقّقَ الأَثام، وإن لم ينتهوا فالصبر جدير، وسوف ينبّئهم خبير.

الباب الثاني

ثم بعد ذلك اعلموا يا أولي النهى، أن الله ذكر في القرآن أنه بعث موسى بعدما أهلك القرون الأولى، وآتاه الله الكتاب والحكم والنبوة، ووهب لقومه الخلافة، وأقام فيهم سلسلة الهدى، وجعَل خاتمَ خلفائه رسولَه ابن مريم عيسى، فكان عيسى آخرَ لَبِنِ هذه العمارةِ وعِلْمًا لساعة زوالها وعبرةً لمن يخشى. ثم بعث الله نبيَّنا الأُمّيّ في أرض أم القرى، وجعله مثيل موسى، وجعل سلسلة خلفائه كمثل سلسلة خلفاء الكليم لتكون رِدْءًا لها، وإن في هذا لآية لمن يرى. وإن شئت فاقرأْ آية ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا منْكُمْ﴾[١٢] ولا تتّبع الهوى، فإن فيها وَعْدَ الاستخلاف لهذه الأُمّة كمثل الذين استُخلِفوا من قبل، والكريم إذا وعد وفى. وإنا لا نعلم أسماء خلفاء سبقونا من هذه الأمّة ومِن قبل إلا قليلا ممن مضى، وما قصّ علينا ربنا قصص كلهم وما أنبأَنا بأسمائهم، فلا نؤمن بهم إلا إجمالا ونفوّض تفصيلهم إلى ربنا الأعلى. ولكنا أُلجِئنا بنص القرآن إلى أن نؤمن بخليفة منّا هو آخر الخلفاء على قدم عيسى، وما كان لمؤمن أن يكفر به فإنه كفرٌ بكتاب الله ولا يفلح الكافر حيث أتى. وفَكِّرْ في القرآن حقَّ الفكر ولا تكُنْ كالذي استكبر وأبى. وإنه الحقُّ من ربنا، فاقرأْ سورة "النور" متدبّرًا ليتجلى عليك هذا النور كالضحى، واقرأْ آية ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وكفاك هذان الشاهدان إن كنتَ تسمع وترى.

---

[١٢] - *النور:* ٥٦

فحاصل الكلام أن سلسلة الخلفاء المحمّدية قد وقعتْ كسلسلة خلفاء موسى، وكذلك كان الوعد في القرآن من رب السماوات العلى. فإن الله قد استخلف قومًا من قبل من بني إسرائيل واصطفى، وأكرم بني إسرائيل وجعل فيهم النبوّة، ومهّلهم حتى طال عليهم العمر وتركوا التقوى. فلما انقضى عليهم ثلاثمئة بعد الألف من يومٍ بُعِثَ فيه الكليم الذي كلّمه الله واجتبى، بعَث الله رسوله عيسى ابن مريم فيهم وجعله خاتمَ أنبيائهم وعِلْمًا لساعةِ نقلِ النبوة مع العذاب، فأنذرَهم وخشّى[١٣]. وما كان له أب من بني إسرائيل إلا أُمّه، وكذلك خلَقه الله مِن غير أب وأومى فيه إلى ما أومى. وكان ذلك آيةً وعِلْمًا لليهود وإخبارًا لهم في رمزٍ قد اختفى، وإرهاصًا لظهور نبينا خير الورى. وما جعل الله المسيحَ خاتم السلسلة الموسوية إلا غضبًا على اليهود، فأهلكهم كما أهلك القرون الأولى، ثم اختار الله قومًا آخرين ووُلِدَ لهم ولدٌ طيّبٌ من أُمّ القرى، وهذا هو محمد رسول الله وحبيبه الذي بُعِث عند الفساد في البر والبحر وجُعِل مثيلَ موسى، لينجّي الناس من كل فرعون طغى، عليه سلام الله وصلواته إلى يوم يُعطَى له المقام المحمود والدرجات العليا. وأقام الله به سلسلة أخرى كمثل سلسلة موسى، الذي هو مثيله في

١٣ - الحاشية: إنّ مريم ولَدت ابنًا ما كان من بني إسرائيل، ثم قيل فيها ما قيل وعذّبوها بأقاويل، فكان هذان الأمران عِلْمًا لساعةِ نقل النبوة، وعَلَمًا لتعذيب هذه الفِرقة. فأصاب اليهودَ ذلّةٌ بإخراجهم من هذا البستان، ونقلِ النبوّةِ إلى بني إسماعيل غضبًا من الله الديّان. ثم أصابهم ذلة أخرى وقارعة من ملوك الزمان، بل مِن كل ملِكٍ إلى هذا الأوان، وإنّ فيها لآية لأهل العلم والعرفان. منه

هذه والعقبى. وكان هذا وعد من الله في التوراة والإنجيل والقرآن، ومَن أوفى من الله وعدًا وأصدقُ قيلا. ولما كان وعد المشابهة في سلسلتي الاستخلاف وعدًا أُكّد بالنون الثقيلة من الله صادق الوعد الذي هو أوّلُ من وفّى، اقتضى هذا الأمر أن يأتيَ الله[١٤] بآخر السلسلة المحمدية خليفةٌ هو مثيل عيسى، فإن عيسى كان آخر خلفاء ملة موسى كما مضى، ووجب أن لا يكون هذا الخليفة من القريش وأن لا يأتي مع السيف ولا يؤمَر للوغى، ليتمّ أمرُ المشابهة كما لا يخفى، ووجب أن يظهر تحت حكومةِ قوم آخرين الذين هم كمثل قومٍ بُعث المسيح في زمن حكومتهم. فانظر إلى هذه المضاهاة فإنها أوضح وأجلى. وأنت تعلم أن عيسى قد جمع هذه الأربعة وكذلك أراد الله في مسيحِ هذه الأمّة وقضى، ليتمّ أمرُ المماثلة ولا يكون كقسمةٍ ضيزى[١٥].

[١٤] - *يبدو أن لفظ الجلالة زِيد هنا سهوًا. (الناشر)*

[١٥] - **الحاشية**: إنْ قيل إنّ المسيح قد خُلق من غير أب من يد القدرة، وهذا أمر فوق العادة، فلا يتم هنالك شأن المماثلة، وقد وجب المضاهاةُ كما لا يخفى على القريحة الوقّادة، قلنا إنّ خَلْق إنسانٍ مِن غير أب داخلٌ في عادة الله القدير الحكيم، ولا نسلِّم أنه خارج من العادة ولا هو حريٌّ بالتسليم✦ فإن الإنسان قد يتولّد من نطفة الامرأة وحدها ولو على سبيل الندرة، وليس هو بخارج مِن قانون القدرة، بل له نظائر وقصص في كل قوم وقد ذكرها الأطبّاء من أهل التجربة. نعمْ، نقبل أن هذه الواقعة قليلة نسبةً إلى ما خالفها من قانون التوليد، وكذلك كان خَلْقي من الله الوحيد✷، وكان كمثله في الندرة، وكفى هذا القدر للسعيد، فإني وُلدتُ تَوءَمًا وكانت صبيّةٌ تولّدتْ معي في هذه القرية، فماتت وبقيتُ حيًّا من أمر الله ذي العزة. ولا شك أن هذه الواقعة نادرة نسبة إلى الطريق المتعارف المشهور. ويكفي للمضاهاة الاشتراكُ في الندرة بهذا القدر عند أهل العقل والشعور، فإن المشابهة لا توجب إلا لونًا من المناسبة، ولا تقتضي إلا رائحة من

وكان هذا وعد الله، وإنّ وعد الله لا يُبدَّل ولا يُنسى. ألا تقرأون كتاب الله؟ أليس فيه هذا الوعد؟ فاتقوا الله الذي إليه الرُجعَى، ولا تكونوا كالذين يقرأون القرآن وما يبالون ما أمَر القرآن وما نهى، وإذا قيل لهم آمِنوا بما وعد الله ولا تنسوا نصيبكم من رحمةٍ تُرجَى، قالوا لا ندري ما الوعد، وطُبِع على قلوبهم فلا يسمع أحد منهم ولا يرى، ولا يقبلون الحق وقد آتينا الدلائل كدُرٍّ أَبْهَى. ألا ينظرون إلى القرآن أو على الأبصار غشاوة فما يرون ما طلع وتجلّى؟ ومنهم قوم أُعطوا عِلْمًا ثم يمرّون كالذي أعرض وأبى. ولئن سألتهم ما وعَد الله ربكم الأعلى، ليقولُنّ إنه وعَد المؤمنين أن يستخلف منهم كما

المماثلة. وإنّا إذا قلنا مثلا إن هذا الرجل أسد بطريق المجاز والاستعارة، فليس علينا من الواجب أن نثبت له كلَّ ما يوجد في الأسد من الذنب والزأر وهيئة الجلد وجميع لوازم السبُعية. ثم اعلم أن تولُّدَ عيسى ابن مريم مِن غير أب من بني إسرائيل بهذا الطريق تنبيهٌ لليهود وعلمٌ لساعتهم وإشارة إلى أن النبوّة منتزَعٌ منهم بالتحقيق. وأمّا مسيح هذه الأمّة فوُلِد توءَمًا مِن ذَكر وأنثى وفُرِّق بينه وبين مادّة النساء، وفي ذلك إشارة إلى أن الله يبثّ به كثيرا في هذه الفئة رجالَ الصدق والصفاء. فالأغراض مختلفة في هذا وفي ذلك، فلذلك اختلف طريق التوليد من حضرة الكبرياء. منه

✦ الحاشية: ألم تر أن آدم عليه السلام ما كان له أبوانِ، فكونُ هذا الأمر من عادة الله ثابت من ابتداء الزمان. منه

✷ الحاشية على الحاشية: ومع ذلك إني أُرسلتُ في المهزودتين وأعيش في المرضَين.. مرض في الشق الأسفل ومرض في الأعلى، فحياتي أعجبُ مِن تولُّد المسيح وإعجاز لمن يرى. منه

استخلف مِن قوم موسى. فقد أقرّوا بتشابه السلسلتين ثم يُنكرون كبصير تعامى.

ولما كان نبينا مثيل موسى، وكان سلسلة خلفائه مثيلَ السلسلة الموسوية بنصّ أجلى، وجب أن تُختتَم السلسلة المحمّدية على خليفة هو مثيل عيسى، كما اختُتم على ابن مريم سلسلةُ صاحب العصا، لِيطابق هذه السلسلةُ بسلسلة أُولى، وليتمّ وعدُ مماثلة الاستخلاف كما هو ظاهر من لفظ ﴿كَمَا﴾. فأَرُوني خليفة من دوني جاء على قدم ابن مريم منكم على أجلٍ يشابه أجلاً مضى، وقد انقضت مدّةٌ مِن نبينا إلى يوم بعثنا هذا كمثل مدّة كانت بين موسى وعيسى، وإن في ذلك لآية لقوم يطلبون الهدى. فما لكم لِمَ تنتظرون نزول المسيح من السماء؟ أنسيتم ما تقرأون في القرآن أو رضيتم بتكذيب كلام ربكم الأعلى؟ أتكفُرون بكتاب الله وهو بحرٌ من المعارف وماء أصفى؟ وكيف استطبتم أن تتركوا الفرقان الحميد لأقوال شتى؟ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا. وقد جُمع الشمس والقمر كما ذكر القرآن وكُسِفا في رمضان كشقِّ القمر في زمن خير الورى، وعُطّلت العِشار لمن يرى، ووُهِبت لنا مطيّة أخرى، لنقدر على السياحة أزيدَ من المسيح ونجعل أمر التبليغ أكمل منه وأوفى. وانظروا إلى فضل الله أنه أظهرَ لي شهادة من السماء وشهادة من الأرض وشهادة من بينهما، وأرى الأمر كضوء الضحى. ألا ترون إلى تشابهٍ في أمر استخلافٍ أتى واستخلاف خلا؟ وإن في ذلك لآية لمن تيقّظ وأرَّق الكَرى.

ألا ترون إلى زمنٍ بُعثتُ فيه وقد جئتكم بعد رسول الله المصطفى، إلى أمـــدٍ كان بين موسى وعيسى؟ وإن في ذلك لآية لأولي النهى.

فانظروا كيف اجتمعت الآياتُ من الله ذي المجد والعلى، فكُسِف القمر والشمس في شهر الصيام، وتُرِكَ القِلاص فلا يُحمَل عليهـــا ولا تُمتَطـــى، ومعها آيات أخرى. وهل اجتمعت هذه قطُّ لكذّابٍ افترى؟ فاتقوا جهـــنم التي تأكل المجرمين، وإن المجرم لا يموت فيها ولا يحيا. أتنبِذون كتاب الله وراء ظهوركم وتتّبعون أقوالا أخرى؟ وإنْ هو إلا بغيٌ وظلم وخروج من الهدى. والخير كله في القرآن، والتمسكُ به مِن دَأْبِ التُّقى. وإن الأرض والسماء قد شهدتا لي، وهل تشهدان إلا لصادق إذ ادّعى؟ فـــاعلموا أني أنـــا المـــسيح الموعود والمهدي المعهود من الله الأحفى. وأُرسِلتُ عند صـــول الـــصليب، وكون الإسلام كالغريب، ليتمّ بي الوعد الحق، وما كان حديثا يُفترَى. ولو كنتُ مفتريا غيرَ صادق لما اجتمع لي من الآي ما اجتمع، وإن الله لا يؤيّـــد من كذَب وافترى على الله واعتدى. وإن في زماني ومكاني وقومي وعِـــدا قومي لآياتٍ على صدقي لمن تدبّر وما استكبر وما علا. وجئتكم حَكَمًـــا عَدْلاً لأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه، ولأقتُلَ كلَّ حيّة تسعى[١٦]. ومـــا جئت في غير وقتٍ بل جئت على رأس المائة وعند فتنٍ بلغت المنتهى. ومـــا جئتُ من غير برهان، وقد نزلت الآيُ من السماوات العلى، وجحَد الألسنُ واستيقنَ القلوبُ، وهدى الله مَن هدى. أتمارون في أمري وقد حـــصحص

[١٦] – أي كل بدعة أُشيعت. منه

الحق وظهرت دلائل لا تُعَدّ وتُحْصى؟ ألا تنظرون إلى القرآن وإنه يشهد لي ببيانٍ أوضح وأجلى؟ وهل أتاك حديثُ خيرِ الورى؟ إذ قال: "كيف أنتم إذ نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم"، ففَكِّرْ في قوله: "منكم"، وتَفكّرْ كمن اتّقى. وإن هذا الحديث يقصّ عليكم ما بيّن لكم الفرقان، فلا تفرّقوا بين كتاب الله وقول رسوله المجتبى. واتقوا الله الذي تُرجَع إليه كل نفس فتُجزى. ألا تعلمون ما قال ربكم.. أعني قوله ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ إلى قوله ﴿لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾؟ فما لكم تشركون بالله عيسى والدجّالَ مِن غير علم من الله ولا الهدى؟ وتنتظرون أن ينزل عليكم المسيح من السماء، وكيف ينزل مَن مات وأُلحِقَ بالموتى؟ أعندكم حجّة قاطعة على دعواكم فتتّبعوها، أو آثرتم على اليقين ظنًّا أخفى؟ يا حسرة عليكم إنكم نسيتم قول الله وقول رسوله، أعني: "منكم"، وظننتم أن المسيح يأتي من السماوات العلى. وهل هو إلا خروج من القرآن وخروج من الحديث ومفسدةٌ عُظمى؟ وكيف تتركون القرآن؟ وأيّ شهادة أكبر منه لمن اهتدى؟ وإن للقرآن شأنا أعظم من كل شأن، وإنه حَكَمٌ ومهيمنٌ، وإنه جمع البراهين وبدّد العدا، وإنه كتاب فيه تفصيل كل شيء، وفيه أخبارُ ما يأتي وما مضى، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإنه نور ربنا الأعلى، فاتركْ كلّ قصّة تخالف قَصَصَه ولا تعصِ قول ربّك فتشقى. وتعلم أن نبيّنا كان مثيلَ مَن نُوديَ بالواد المقدس طُوى، وكانت خُلفاؤه كخلفائه، وكانت السلسلتان متشابهتين في المَدى. وكذلك قال ربنا وقد قرأت فيما مضى،

وتلك حقيقةٌ لا تُستَر ولا تُخفَى. فلا يصُدّنّك عنها مَن اتّبع هـــواه وتـــرَك الصراط وهو يرى.

وعلمتَ أني جئتُ على أجلٍ مِن سيدي المصطفى كمثل أجلٍ جاء عليه مِن الكليم ابنُ الصدّيقةِ عيسى. وعلمتَ أن خاتم خلفاء هذه الأُمّة من الأُمّة لا من فئة أخرى، فكيف تكفر به؟ أتكفر بالقرآن لأقوال شتّى؟ ومن فكّر في آية ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ مُلِئَ قلبُه يقينًا وإيمانًا، وترك ما يُروى بخلافه ويُحكـــى، وكُشِفتْ عليه الحقيقة وكذّب مَن نطق بخلافه وروى. فويلٌ للذي سمع هذه الدلائل ثم كذّب وأبى. أم حسِب أن الله وعد وعدًا ثم أخلفَه أو نسِي وعده كرجل هو كثير الذهول ضعيف القوى؟ سبحان الله تقدّسَ وتعالى! فبـــأيّ حديث بعد كتاب الله تؤمنون؟ أتتركون اليقين بشكٍّ سرَى؟ أتُؤثرون الظنّ على ما جاءكم من اليقين؟ ومَن أظلم ممن ترك الحق واتّبع الهـــوى؟! أبقِـــي شكٌّ في خاتم الخلفاء وفي أنه منكم، فأْتوا بالقرآن إن كان الأمر كذا.

وإن الحق قد حصحص فلا تَحْثوا عليه التراب، ولا تخفوه في الثـــرى. واتقوا الله الذي إليه تُرجَعون وُحدانًا، وما أرى معكم أحباب الدنيا، فقُوموا فُرادى فُرادى، ولا تنظروا إلى مَن أحبَّ أو عادى، ثم فَكِّروا بقلـــب أتقـــى وعقل أجلى.. أما قال ربكم ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؟ وإنّ في ذلك حجّة على من طغى. فإن لفظ ﴿كَمَا﴾ يوجب أن يكون سلسلة الخلفاء في هذه الأمّة كمثل سلسلة نبي الله موسى التي خُتِمت على ابن مريم عيسى. فأين تذهبون من هذه الآية وتُبعِدون ما دنا؟

ووالله ليس في القرآن الذي هو أهل الفصل والقضاء إلا خبر ظهور خاتم الخلفاء من أمّة خير الورى، فلا تقْفوا ما ليس لكم به علم وقد أُعطيتم فيه من الهدى، ولا تُخرِجوا من أفواهكم كلماتٍ شتّى، التي ليست هي إلا كسَهْمٍ في الظلمات يُرمَى. وإنّ هذا الوعد وعدٌ حقّ فلا تغُرَّنّكم ما تسمعون من أهل الهوى. وقد أُشير إليه في الفاتحة مرة أخرى، وتقرأون في الصلاة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم تستَقْرون سبُل الإنكار وتُسِرّون النجوى. ما لكم تدوسون قول الله تحت الأقدام؟ ألا تموتون أو تُترَكون سُدًى؟ وتذكرونني كما يُذكَر الكُفّار، وتقولون اقتلوه إن استطعتم وتكتبون الفتوى. وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله، وإنّ معي حَفَظةً يحفظونني من العدا، فأَجمِعوا كيدكم، ثم انظروا هل يسقط الكيد إلا على من جفا. وعسى أن تحسبوا رجلا كاذبا وهو صادق فيما ادّعى. فلا تميلوا كل الميل، ومَن ترك التقوى فقد هوى. أرأيتم إنْ كنتُ من عند الله وقد كذّبتم، فما بالُ من اعتدى؟ وأنتم تكرهون أن يموت عبد الله عيسى، ولا نَفْعَ لكم في حياته، ولله في موته مآرب عظمى. أَلَهُ شِرْكةٌ في السماء مع ربّنا فلا يبرح مقامه ولا يتدلّى؟ فلا تحاربوا الله بجهلكم، وصلُّوا على نبيّكم المصطفى، وهو الوصلة بين الله وخلقه، وقاب قوسين أو أدنى. أسمعتم مني ما لا أسمَعَكم القرآنُ، أو رأيتم عيسى في السماء، فكَبُرَ عليكم أن تكذّبوا أعينَكم، أو ظننتم ظنًّا؟ وإن الظنّ لا يغني من الحق شيئا. وقد علمتم أن القرآن أهلكَه وتَوَفَّى، فبأي حديث تؤمنون بعده، وتكفرون بما أنزل الله وأوحى؟ أتتركون اليقين لظنٍّ أهلكَ قبلكم قومًا وأردَى؟

يا حسرة على الذين يقولون إنا نحن العلماء! إنهم ما صاروا من أنصاري، بل صاروا أوّلَ مَن آذى، لِيُتِمّوا نبأَ الرسول بألسنهم وما رُوي عن خير الورى. وقال أظلَمُهم اقتلوا هذا الرجل، إني أخاف أن يبدّل دينكم أو يُحطّكم إذا علا. يا أهلَ الحسد والهوى، ويلكم لِمَ تؤْثرون هذه الحياة الدنيا؟

وإن القرآن يشهد أن خاتم خلفاء هذه الأمّة رجلٌ من الأُمّة، وأن المسيح من الموتى، ومَن أظلم ممن الذي[17] عصى القرآن وأبى، وهو الحَكَم من الله، ولا حُكْمَ إلا حكمه الأجلى. أوَ لم تَكْفِكم آيةُ ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾[18]، أو عندكم صحفٌ أخرى؟ وإن سورة "النور" تكذّبكم، و"الفاتحةُ" تفتح عليكم باب الهدى، فإن الله بدأ فيها من المبدأ، وجعل آخرَ الأزمنة زمنَ الضالّين، وإنهم هم النصارى، كما جاء مِن نبيّنا المجتبى. فأين فيها ذكرُ دجّالكم؟ فأَرُوناه من القرآن، وقد هلك من ترك القرآن وعادى أهله وقلى. أنَسِيَ الخبير العليم ما حفظتموه، أو افتريتم على كتاب الله؟ ومن أظلم ممن افترى؟! وإنه لقولٌ فَصْلٌ لا غُبار عليه، وإنه لبيانٌ أظهر وأجلى. وإنّ هذا لهو الحق، ومَن أصدقُ من الله قيلا؟ ومَن أعلم من ربنا الأعلى؟ أم عندكم حجة تمنعكم من القرآن، فأْتوا بها إن كنتم تتقون الله ولا تتبعون الهوى.

وتعلمون أن الفاتحة أُمُّ الكتاب، وإنها تنطق بالحق، وفيها ذكرُ أخيارِ أُمّةٍ خلتْ من قبل وذكرُ شَرِّهم الذين غضب الله عليهم في هذه الدنيا، وذكرُ الذين اختُتمتْ عليهم هذه السورة، أعني الضالين، وقد أقررتم بأنهم

---

[17] - *يبدو أن (الذي) زيد هنا سهوا. (الناشر)*

[18] - *المائدة: ١١٨*

النصارى، وأخّر الله ذكرهم في هذه السورة ليعلّم أن فتنتَهم آخر الفتن، فلَمْ يبقَ لِدجَّالكم موضعُ قدم يا أولي النهى.

وإنّ هذه فِرقٌ ثلاث من أهل الكتاب، وكذلك منكم ثلاث، شابهَ بعضُكم بعضهم وضاهى. وحثَّ الله المؤمنين على هذا الدعاء، ثم وعد في سورة النور وعدًا أنه ليستخلفنّ قومًا منهم كمثل الذين استُخْلِفوا مِن قبل، ليبشّر المؤمنين أن الدعاء أُجيبَ لبعضهم من الحضرة العليا. فأيّ بيان أظهرُ من هذا البيان يا أولي النُّهَى؟ أفشَقَّ عليكم أن يجيء مسيحكم منكم، أو أردتم أن تكذّبوا وعد المولى؟ يا قوم إنما فُتنتم من ربكم، فلا تنقُلوا إلى الخطيّات الخُطى. وما قصّ عليكم الله مِن نبأ عيسى إلا ليبشّر أن مسيحًا يأتي منكم كمثل مسيحِ بني إسرائيل، فأَبْشِروا بظهور الوعد ولا تختصموا كالذي أعرض وتولّى. وقد علمتم أن عيسى قد جاء في آخر زمن اليهود، وكذلك قدّر الله لمسيحكم أجلا مسمّى، ليُتمّ المشابهة بينكم وبين الذين خلوا من قبل، فما لكم تسلكون غير طريقٍ سلكه الله، وتنسون أمرًا أراده الله وقضى؟ وإنّ زماننا هذا هو آخر الأزمنة كما كان لبني إسرائيل زمان عيسى، وإن عيسى كان عِلْمًا لساعة اليهود، وأنا عِلْمٌ للساعة التي تُحشَر الناس فيها وتُحيا كلُّ نفس لتُجزى. وقد ظهر أكثر علاماتها وذكَرها القرآن ذكرًا، وعُطّلت العشار، ونُشرت الصحف والأسفار، وجُمع القمر والشمس في رمضان، وفُجّرت البحار، وفُتحت الطرق، وزُوّجتْ بنفوسكم نفوسُ بلادٍ قصوى، وإن الجبال نُسفتْ أكثرُها، فما تروْن فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا، وتُركت القِلاص فلا يُحمَل عليها ولا يُسعَى. فثبت أن زماننا هذا هو آخر الأزمنة

التي ذُكرت في القرآن، وتعيّنَ أن هذا الوقت هو وقتُ آخرِ الخلفاء لأُمّة نبيِّنا خيرِ الورى. وقد بلغ الثبوت كماله وما غادر الله شكًّا ولا رَيبًا. وإنّا مُلِئنا فيه معرفةً وعلمًا تامّا ونورًا مبينا، حتى لو رُفِع الحجاب لما ازددنا يقينا. أترون مِن دوني في هذا الأوان رجلا يقول إني أنا المسيح الموعود ويأتي كمثلي بآيات كبرى؟ فما لكم لا تقبلون من جاءكم على وقته وأراكم من الآيات ما أرى؟ وقد جاء على أجلٍ بعد نبيّه المصطفى كمثلِ أجلٍ بُعِثَ المسيح فيه بعد موسى. وقد ذكرتُ غيرَ مرّة يا أولي النُّهى أني أنا المسيح الذي كان نازلا من الحضرة العليا، وكنتُ قُدِّرَ ظهوري في آخر السلسلة المحمدية كمِثل المسيح الذي جاء في آخر السلسلة الموسوية بإذن المولى، ليتساوى السلسلتان ويتمّ الوعد، والكريمُ إذا وعد وفى.

فالحمد لله الذي ما بَخَس هذه الأمّةَ حقَّها وما نقصهم قدْرًا، وأرَى الأمرَ كتطابُق النعل بالنعل، فما ترى ظلمًا ولا هضمًا. فلا تكفرْ بما ثبت من القرآن وقل رب زِدْني علمًا. وما لك لا تتّبعْ ما قال الله وتتّبع أقوالا أخرى؟ وإن هُدَى الله هو الهدى. واللهُ صدَقكم الوعد، فأين تذهبون مِن وعده وتنحتون قصصا شتّى؟

وأيّ فائدة لكم في حياة المسيح أيها النَّوْكى مِن غير أنكم تنصرون به النصارى؟ أفلا تنظرون إلى الزمان وقد نزلت عليكم بليّة عظمى، وتنصّرَ فوج من قومكم وأحبّائكم، وهلكت البلاد والعباد، واهتزّ عرش الرحمن لِما نزل، فقضى ما قضى. ولو أراد الله أن يُنزِلَ أحدًا من السماء كما زعمتم لكان خيرًا لكم أن يُنزِلَ نبيّكم المصطفى. أما قرأتم قوله تعالى ﴿لَوْ أَرَدْنَا

أَنْ نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾[١٩] .. يعني محمدًا، فانظروا نظرًا. إن السماوات والأرض كانتا رَتْقًا ففُتِقَتا في هذا الزمان ليُبتلى الصالحون والطالحون وكلٌّ بما عمل يُجزَى. فأخرج الله من الأرض ما كان من الأرض، وأنزل من السماء ما كان من السماوات العُلى، ففريق عُلّموا مكائد الأرض، وفريق أُعطوا ما أُعطِيَ الرسلُ من الهدى. وقُدّر الفتح للسماويّين في هذا الوغى، وإن تؤمنوا أو لا تؤمنوا لن يترك الله العبد الذي أرسله للورى. ولا تُضاع الشمس لإنكار الأعمى. فريقان يختصمان في الرشد والهوى، وفُتِحَت لفريقٍ أبواب الأرض إلى تحت الثرى، وللثاني أبواب السماء إلى سِدرة المنتهى. أما الذين فُتِحت عليهم أبواب الأرض فهم يتبعون شيطانهم الذي أغوى، والذين فُتِحَت عليهم أبواب السماء فهم ورثاء النبيّين وقومٌ مطهَّرون مِن كل شُحٍّ وهوًى، يدْعون قومهم إلى ربهم ويمنعونهم مما يُشرَك به في الأرض والسماوات العُلى. وإني بُعِثتُ فيكم من الله الذي لا توقّرونه لأنذر قومًا أَطْرَأُوا ابنَ مريم عيسى.

---

[١٩] - *الأنبياء:١٨*

الباب الثالث

يا قوم، ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ أتتركون كلام الله لأقوال لا تعرفونها؟ أُفٍّ لكم ولِما تنحِتون! وما تحققتْ عندكم تلك الأقوال ولا قائلُها وإن أنتم إلا تظنّون. أتؤْثرون الظن على اليقين، والظنّ لا يُغني من الحق شيئا، ولا أنتم به تُبرَّأون؟ وقد وعد الله أنه يستخلف من هذه الأمّة، أفأنتم له منكرون؟ وما وعد أنه يُنــزل مسيحكم من السماء، وإنْ وعَد فأَخرِجوه لنا من القرآن إن كنتم تصدُقون. وقد ثبت مِن وعده أن خاتم الخلفاء منّا، أفأنتم فيه تشكّون؟ فأيّ نزاع بقِي بعده؟ ما لكم لا تفكّرون؟ لا ترفعوا أصواتكم فوق كتاب الله، وإنّ القرآن قد حكم في الذي كنتم فيه تختلفون. ألا ترضَون بما قضى القرآن؟ والله أحقُّ أن يُقبَل قولُه إن كنتم تؤمنون.

واللهُ جعل أوّلَكم وآخركم كسلسلة موسى؛ فهل أنتم تشكرون؟ انظروا إلى مثيل موسى سيّدِكم ونبيِّكم في أوّل السلسلة، فأين مثيل عيسى في آخرها، أو بقيت السلسلة ناقصة أيها المتدبّرون؟ ألا ترون فتن القوم الذين هم مِن كل حدَبٍ ينسلون؟ وقد جُعِلتم تحت أقدامهم نكالاً من الله ثم أنتم لا ترجعون. عسى ربّكم أن يرحمكم، فوَيْحَكم لم لا تسمعون؟ أتطمعون أن ينــزل عيسى من السماء؟ هيهاتَ هيهاتَ لما تطمعون! أترجون أن يُخلِف الله وعده ويتّبع أهواءكم أيها المبطلون؟ ولو اتّبع الله أهواءَ الناس لضاع

التوحيد بأسره، وكثُر الشرك والمشركون. وإنّ الله لا يبعث مرسَلا على الأرض إلا ليدفع المفاسد التي أفسدتْها، فانظروا إلى المفاسد أيها العاقلون.

يا حسرة عليهم! إنهم ينظرون ما نزل على الإسلام ثم لا ينظرون. ولئن سألتَهم أنّ رجلا ادّعى أنه من الله وأنه هو المسيح، وجاء في زمن مفاسد الصليب، فكسَر الصليب كسرًا لا يوجد مثله فيما مضى ولا يُتوقّع في الأزمنة الآتية، فبأيّ اسم سمّاه رسول الله إن كنتم تعلمون؟ ليقولنّ إنه سُمِّيَ مسيحا وابنَ مريم على لسان رسول الله وبيّن أنه من هذه الأمّة. قُلِ الحمد لله على ما أظهر الحق، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أيها الناس، انظروا إلى كمال أيام الضلال، ولا تكفروا بأيام الله ذي الجلال، إن كنتم تتّقون. أما رأيتم كسوف الشمس والقمر في رمضان، فما لكم لا تهتدون؟ أما رأيتم كيف أُشيعَ الطاعون وكثُر المنون؟ فذلك وهذا شهادة من السماء والأرض كما أخبر المرسلون. وقد اجتمع كلّ ما جاء في القرآن من آثار آخر الزمان، فما لكم لا تستيقظون؟ ولما ثبت أن الزمان قد انتهى إلى آخره، فأين خليفة آخر الزمان إن كنتم تعرفون؟

أيها المنكرون آمِنوا أو لا تؤمنوا.. إن الذين أُوتوا علم الكتاب وحظًّا من السعادة يقبلونني وهم لا يستأخرون، وإذا رأوا علاماتٍ ذُكرتْ في القرآن وخليفةً ينادي إلى الرحمن، خرّوا على الأذقان سُجّدًا وعلى ما فرّطوا يتندّمون، وترى أعينَهم تفيض من الدمع بما عرفوا الحق، وتنْزل السكينة في قلوبهم، ويؤمنون بما أنزل الله وهم يبكون. ربنا إننا سمعنا مناديًا، وعرفنا

هاديًا، فاغفرْ لنا ذنوبنا إنا تائبون. وقال الله لا تثريب عليكم اليوم، ستُغفَر ذنوبكم وتُدخَلون في الذين يُكرَمون.

يا معشر العقلاء، لا ترقبوا أن ينـــزل أحد من السماء، واعلموا أن هذا هو يومكم الذي كنتم توعدون. وقد وعد الله الذين آمنوا منكم ليستخلفنّهم كمثل خلفاء شِرعة موسى، فوجب أن يأتي آخر الخلفاء على قدم عيسى ومِن هذه الأمّة، وأنتم تقرأون القرآن أفلا تفهمون؟ وعدٌ من الله، فلا تحسبوا وعد الله كمواعيد قوم يكذبون. وكيف يتمّ وعد الله من دون أن يظهر المسيح منكم؟ ما لكم لا تفكّرون في آيات الله ولا تتدبّرون؟ أيليق بشأن الله أن يعِدكم أنه يبعث الخلفاء منكم كمثل الذين خلوا من قبل، ثم ينسى وعده ويُنـــزل عيسى من السماء؟ سبحانه وتعالى عما تفترون! فما لكم أنكم تجادلون في المسيح الموعود، وتصرّون على أنه هو المسيح ابن مريم، وتقرأون كتاب الله ثم تذهلون؟ وإن الله قد حكم بينكم وبيننا، وفصّل الآياتِ لقوم يتّقون. وإنه أراد ليدافع عن الذين آمنوا ويدفع فتن الصليب، فهل أنتم تكرَهون؟ وقد جرتْ عادته أن يرسل عباده عند سيل الفتن، فاسألوا الذين يعلمون إن كنتم ترتابون. أفتطمعون أن يأتيَ المسيح من السماء كما ظننتم وقد خلت سُنّة الله من قبل، أفلا تعلمون؟ وما جاء مرسل بطريقٍ زعَم الزاعمون، فكيف أنتم تتوقّعون؟ وقد زعم اليهود من قبلكم أن مسيحهم لا يأتي إلا بعد أن ينـــزل نبي من السماء، فما صدّق اللهُ زعمهم، فكفروا بابن مريم وهم يختصمون. وكذلك زعموا أن مثيل موسى من بني إسرائيل، فلمّا بُعث من بني إسماعيل كفروا به، وإلى يومنا هذا لا يؤمنون.

فتلك سنّةٌ من سنن الله أنه يُرِي بعضَ أجزاء نَبَئِه ويُخفِي البعضَ، فالذين في قلوبهم زيغ يجعلون ما اختفى مُتّكَأً لإنكارهم وهم عما ظهر يُعرِضون، ولا يتفكّرون لعله فتنة لهم، وقد كثُر الأمثال فما يقرأون.

لا تسلكوا طريقا غير طريق القرآن يا أهل الدهاء، ولا تقولوا إن عيسى نازل من السماء. انتهُوا خيرًا لكم أيها المسلمون! إنكم اخترتم عقيدة لا نظير لها في الأنبياء، وإنّا اخترنا عقيدة كثرتْ نظائرها في الرسل والأصفياء، فأيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن وأقرب إلى الصدق والصفاء أيها العاقلون؟ وما نزل نبي من السماء من قبل فكيف أنتم تترقّبون؟ وكان اليهود يعتقدون كمثلكم أن إلياس ينـــزل من السماء قبل المسيح وكانوا عليه يصرّون، فلما جاء المسيح كذّبه القوم وقالوا كيف نقبله وما نزل إلياس، ولا يأتي المسيح الصادق إلا بعد نزوله وإنا له منتظرون، فرَدَّ عيسى ما زعموه وقال إن يحيى الذي أُرسلَ مِن قبلي هو إلياس إن كنتم تقبلون. فما قبلوا وكفروا بعيسى بن مريم رسولِ الله، فغضب الله عليهم ولعنهم وأنزل عليهم رجزه بما كانوا يكفرون. ثم اتّبعتم عقيدتهم بقولكم إن المسيح ينـــزل من السماء، أوَصّاكم اليهود أم تشابهت القلوب والعيون، فصارت أهواؤكم كأهوائهم، وقَرُبَ أن تُجزَون كجزائهم، فاتّقوا الله ولا تتّبعوا سنن المغضوبِ عليهم، فيمسّكم العذاب وأنتم تقرأون الفاتحة، ألا تعلمون؟ وقد سمّى الله تلك اليهودَ ﴿المغضوب عليهم﴾، وحذّركم في أُمّ الكتاب أن تكونوا كمثلهم، وذكّركم أنهم أُهلكوا بالطاعون، فما لكم تنسون وصايا الله ولا تتّقون ربّكم ولا تحذرون؟ ولا تفكّرون في قول الله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، ولم يقُلْ "غيرِ

اليهود"، فإنه أَوْمَى في هذه إلى عذابٍ أصابهم وإلى عذابٍ يصيبكم إن لم تنتهوا، فهل أنتم منتهون؟ وإنه نبأٌ عظيم وقد ظهرت آثاره، وإنّ في هذا لآية لقوم يفكّرون. وقد غضب الله على اليهود بقولهم إنّ موعودهم ينْزل من السماء ثم يأتي المسيح، فقال الله على لسان عيسى إنهم قوم مبطلون. فما لكم ترجون أمرًا أبطله الله من قبل؟ والمؤمن لا يُلدَغ من جُحر واحدٍ مرّتين، ويتّعظ بغيره لئلاّ يلومه اللائمون. أتُكْمِلون هذه المشابهة بألسنكم وغُلُوِّكم على عقيدة النـــزول، وتعلمون أن المسيح قد خالف هذا الرأي، فما لكم تحبّونه ثم تعصون حُكْمَه وتخالفون؟ وإن الطاعون قريبٌ من داركم، وما تدري نفس ما يُفعَل بها في سنة آتية، فلا تكفروا كل الكفر، وتوبوا إلى الله الذي إليه تُرجَعون. وتعلمون أنه رجزٌ نزل على اليهود، ثم ينْزل على الذين يشابهونهم غضبًا من الله، وذلك هو السر في آية ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أيها المتدبّرون.

يا حسرة على الناس! إنهم يرون آياتِ الله وأيامَه ثم يُعرِضون، وإذا قيل لهم آمِنوا بما وعد الله في سورة النور والفاتحة قالوا أنؤمن كما آمن الجاهلون؟ ألا إنهم هم الجهلاء ولكن لا يشعرون. وإذا قيل لهم اتّقوا الله ولا تتّبعوا أهواءكم، قالوا إنما نحن متّقون، وقد تركوا القرآن ظلمًا وعُلوًّا، وإذا دُعُوا إلى الحق فهم يغضبون. وأيّ جهالة أكبر من أنهم ذهبوا إلى أقوال شتّى وبوعد القرآن لا يُؤمنون، وإنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِن خلفه، وهل يستوي اليقين والظنون؟ وإن الأحاديث كلها قد جُمِعت بعد مائة أو مائتين، وإن فِرَق الإسلام فيها يتنازعون، وأمّا القرآن فلا شبهة فيه،

وإنه هو الذي نزل صدقًا وحقًّا على نبيّنا وخرج مِن فيه، أأنتم فيه ترتابون؟ فبأي حديث بعده تؤمنون؟ أتؤثرون الظن على الذي قال الله في شأنه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢٠]. وقالوا إنّا وجدنا آباءنا على طريق وإنّا على آثارهم سالكون. انظرْ كيف أقرّوا بترك القرآن، ثم انظر كيف يختصمون.

وقالوا إن الأحاديث قد اتفقت على ما اعتقدنا، وإنْ هم إلا يكذبون. وقد علموا أن أكثر أخبار النبي تُوافِق القرآن، والذي لم يوافق فقد وضعه الواضعون. وإن العصمة من صفات القرآن خاصة، وإن القصص لا تجري[٢١] النسخ عليها كما أنتم تُقرّون. فأين تفرّون من حقٍّ حصحصَ، وإلامَ تجادلون؟ أرأيتم إن كنتُ من عند الله ثم كذّبتموني، فما بالكم أيها المكذّبون؟

وإن الله قد أخبر عن موت المسيح في سورة المائدة، والحديثُ أخبرنا أن عمره مائة وعشرون، وبشّرنا الله في سورة النور بأن الخلفاء من هذه الأمّة، فكان خاتمُ الخلفاء من المسلمين بالضرورة، وهو المسيح الموعود من غير الشك والشبهة، فقد فتح الله بيننا وبينكم إن كنتم تبصرون. وهل بقي بعد ذلك شكّ لقوم يتّقون؟ فقد أُوتينا حجّة بالغة من الله، وما في أيديكم إلا الذي نحت الخاطئون.

---

[٢٠] - *الحجر: ١٠*

[٢١] - *سهو، والصحيح: يجري (الناشر)*

وقالوا إن المسيح ينـــزل بسِمْتٍ شرقيٍّ مِن دمشقَ. وهذا هو الحق إن كنتم تتفكرون؛ وإنّ المسيح قد ظهر في الأرض الشرقية كما أن الدجَال قد ظهر فيها، فالمسيح شرقي والدجّال شرقي، وفي الشِّرك كثُر المشركون. وإن قريتي هذه شرقية من دمشقَ، فاسألوا من يعلمها إن كنتم لا تعلمون. وإن هذا المُلك مُلْكَ الهند شرقيٌّ مِن حجاز، فتمَّ ما أومى النبي إلى المشرق للدجَّال والمسيحِ، وتم وعد الله صدقًا وحقّا، فلا تحاربوا الله أيها المستعجلون.

وإنكم ترون كيف تنصّرَ الناس وارتدّوا من دين الله، ثم تقولون ما جاء مرسل مِن عند الله، ما لكم كيف تحكمون؟ وإن هذه الأرض فاقتْ كلَّ أرض بفتنها. أتعلمون كمثلها أرضًا أخرى، فأَرُونا تلك الأرض إن كنتم تصدُقون. وقد شهدت السماء والأرض والزمان والمكان على صدقي، ومضى من هذه المائة قريبًا من خُمْسها، فبأي شهادةٍ بعدها تستيقظون؟ وقد أَرَى الله آياتِه قريبا من ثلاثمائة، ورآها الشهداء الذين كانوا زهاء مائة ألف أو يزيدون، وإن كنتم تظنون أنهم كذبوا فأْتوا بشهداء كمثلهم كاذبين يشهدوا لكم إن كنتم صادقين فيما تدّعون. وإنّ نصر الله أتاكم في وقته فهل أنتم تردّون؟ وإن تعُدّوا دلائل صدقي لا تحصوها، وإن الكاذبين لا يُؤتى لهم آية ولا هم يُنصَرون.

وإن الفاتحة كفَتْ لسعيدٍ يطلب الحق ولا يمرّ علينا كالذين يستكبرون. فإن الله ذكر فيه فِرَقًا ثلاثًا خَلوْا من قبلُ، وهم المنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالون، ثم جعل هذه الأُمّةَ فرقةً رابعة، وأومأَ الفاتحةُ إلى أنهم

ورثوا تلك الثلاثة: إمّا مِن المنعَم عليهم، أو من المغضوب عليهم، أو من الذين يضلّون ويتنصّرون، وأمَر أن يسأل المسلمون ربّهم أن يجعلهم من الفرقة الأولى ولا يجعلهم من الذين غضب عليهم ولا من الضالين الذين يعبدون عيسى وبربهم يشركون. وكان في هذا أنباءٌ ثلاثة لقوم يتفرّسون. فلما جاء وقت هذه الأنباء بدأ الله من الضالين كما أنتم تنظرون، فخرج النصارى من دَيْرهم بقوة لا يدانِ لها وهم مِن كل حدَبٍ ينسلون، وزُلزلت الأرض زلزالها وأخرجت أثقالها، وتنصّرَ فوج من المسلمين كما أنتم تشاهدون. ثم جاء وقت النبأ الثاني.. أعني وقت خروج المغضوب عليهم كما كان الوعد الرباني، فصار طائفة من المسلمين على سيرة اليهود الذين غضب الله عليهم، وصارت أهواؤهم كأهوائهم وآراؤهم كآرائهم ورياؤهم كريائهم وشحناؤهم كشحنائهم وإباؤهم كإبائهم.. يكذبون ويفسقون، ويظلمون ويستكبرون، ويحبّون أن يسفكوا الدماء بغير حق، ومُلِئتْ نفوسهم شُحًّا وبخلاً وحسدًا، وضُرِبت عليهم الذلّة، فهم لا يُكرَمون في السماء ولا في الأرض، ومِن كل باب يُطرَدون. وكذلك مُلئت الأرض ظلما وجورًا وقَلّ الصالحون. فنظر الله إلى الأرض فوجد أهلها في ظلمات ثلاث: ظلمة الجهل وظلمة الفسق وظلمة الدّاعين إلى التثليث والوسواس الخنّاس، فتذكّرَ فضلاً ورُحمًا وعْدَه الثالثَ الذي يدْعون له الداعون، فأنعمَ على هذه الأُمّة بإرسال مثيل عيسى، وهل يُنكِر بعده إلا العمون؟ وإن الذين آمنوا بأنباء القرآن ومواعيده وكفروا بما خالفها، أولئك هم المؤمنون حقّا، وأولئك الذين هدى الله قلوبهم، وأولئك هم المهتدون. وما نبيُّنا إلا محمد، وما كتابنا

إلا القرآن، فاطلبوا الرشد منه أيها المسترشدون. وإنا عُلّمنا دعوةً في "الفاتحة"، واستجابَها الله في سورة "النور"، فما لكم تتركون لُبَّ القرآن وعلى القشر تقنعون؟ ولا غُمّةَ في مواعيد القرآن، بل هو بيان واضح لقوم يفهمون. فما لكم ترُدّون نِعمَ الله بعد نزولها؟ ءَأَنتم نَعَمٌ أو أناس عاقلون؟ وما قصّ الله علينا الفِرَقَ الثلاث في الفاتحة إلا ليشير إلى أن هذه الأمّة ورثْتهم في كل قسم من الأقسام المذكورة، فقد ظهرتْ هذه الوراثة في مسلمِي زمانِنا الذي هو آخر الزمان بظهور تام، تعرفها كل نفس من غير الحاجة إلى الإمعان، كما لا يخفى على الذين ينظرون إلى مسلمي زمنِنا هذا وإلى ما يعملون.

ولكل فِرقة من هذه الورثاء الثلاث درجاتٌ ثلاث.. أما الذين ورِثوا المنعَمَ عليهم فمنهم رجال ما وجدوا حظَّهم من الإنعام إلا قليلا من العقائد أو الأحكام وهم عليه يقنعون، ومنهم مقتصدون وإنهم وقَفوا على مرتبة الاقتصاد وما يُكمَّلون، ومنهم فردٌ اجتباه ربه وكمّله وجعله سابقا في الخيرات، وهو يجتبي إليه من يشاء ويخصّ بالدرجات، فذلك المخصوص هو المسيح الموعود الذي ظهر في القوم وهم لا يعرفون.

وأما الذين ورثوا المغضوب عليهم من اليهود فمنهم رجال من المسلمين شابهوهم في ترك الفرائض والحدود، لا يصومون ولا يصلّون، ولا يذكرون الموت ولا يبالون، ومنهم قوم اتخذوا الدنيا معبودهم ولها في ليلهم ونهارهم يعملون، ومنهم سابقون في الرذائل، وأولئك الذين يتخذون أهل الحق سُخريًّا وعليهم يضحكون، ويعادونهم ويكفّرونهم ويشتمونهم، ويعملون رياءً

وبطرًا ولا يخلصون. ويصولون على مسيح الله وحزبه ويجرّونهم إلى الحكام، وفي كل طريق يقعدون، ويقولون اقتلوهم فإنهم كافرون. وإذا قيل لهم تعالوا إلى كلام الله واجعلوه حَكَمًا بيننا وبينكم ترى أعينهم تحمرّ من الغيظ ويمرّون شاتمين وهم مشتعلون. وكأَيِّنْ مِن آيِ الله رأوها بأعينهم ثم يمرّون مستكبرين كأنهم لا يبصرون. ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ظلمًا وعُلوًّا، وقالوا لا تسمعوا دلائله والغَوْا فيها لعلكم تغلبون.

وأما الذين ورثوا الضالين فمنهم قوم أحبّوا شِعار النصارى وسيرتهم وإليها يميلون. وتجدهم يرغبون في حُللهم وقمصانهم وقلانسهم ونعالهم وطَرْزِ معيشتهم وجميعِ خصالهم، وعلى مَن خالفها يضحكون، ويتزوّجون نساءً من قومهم وعليهن يعشقون. ومنهم قوم مالوا إلى الفلسفة التي أشاعوها، وفي أمر الدين يتساهلون. وكم مِن كَلِمٍ تخرج من أفواههم، ويحقّرون دين الله ولا يبالون. ومنهم قوم أكملوا أمر الضلالة، وارتدّوا من الإسلام وعادَوه من الجهالة، وكتبوا كتبًا في ردّه، وشتموا رسول الله وصالوا على عرضه، وتلك أفواجٌ في هذا المُلك بعدما كانوا يُسلِمون. فتمّ ما أُشيرَ إليه في الفاتحة، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون!

وأوّلُ نبأ ظهَر من أنباءِ أُمّ الكتاب هو تنصُّرُ المسلمين وشتمهم وصَولهم كالكلاب كما تشاهدون. ثم ظهر نبأ المغضوب عليهم، فترى حزبًا من العلماء ومَن تبعهم من أهل الدنيا والأمراء والفقراء كيف يستكبرون ولا يتذللون، ويراءون ولا يخلصون، ويقولون ما لا يفعلون، وأخلدوا إلى الأرض وإلى الله لا يتوجهون. ولا يؤمنون بأيام الله، ويرون آيات الله ثم ينكرون.

ويريدون أن يدُسّوا الحق في تراب، ويمزّقوا أذياله ككلاب، ولا يفكّرون في ليلهم ولا نهارهم أنهم يُسألون. ولو تيسّرَ لهم قتلي لقتلوني ولاغتالوني لو يُسرّون مقتلي، ولكن الله خيّبهم فيما يقصدون. يمكرون كل مكرٍ لإعدامي، فينـــزل أمرٌ من السماء فيجعل مكرهم هباءً وهم لا يعلمون. وإنَّ معي قادرٌ لا يبرح مكاني حَفَظَتُه، ولا يبعُد مني طرفةَ عينٍ رَحْمتُه، لكن المخالفين لا يبصرون، بل يرونني ويعبسون ويسبّون ويشتمون، ويحلفون حَلْفًا على حَلْف أنه كاذب. ولا يبقى سرٌّ إلا يُبدَى، ولا قضية إلا تُقضَى، فسيظهر ما في قلبي وما في قلبهم، ولا يُكتَم ما يكتُمون.

هذان حزبان من المغضوب عليهم وأهل الصلبان ذكَرهما الله في الفاتحة، وأشار إلى أنهما يكثُران في آخر الزمان ويبلغان كمالهما في الطغيان، ثم يقيم ربُّ السماء حزبًا ثالثًا في تلك الأوان، لتتمّ المشابهة بأُمّةٍ أُولى ولِتتشابهَ السلسلتان. فالزمان هذا الزمان، وتمّ كلّ ما وعد الرحمن، ورأيتم المتنصّرين من المسلمين وكثرتهم، ورأيتم يهودَ هذه الأمّةِ وسيرتهم، فكان خاليًا موضعُ لَبِنةٍ أعني المُنعَم عليه من هذه العمارة.. فأراد الله أن يُتمّ النبأ ويُكمِل البناء باللبنة الأخيرة، فأنا تلك اللبنة أيها الناظرون. وكان عيسى عَلَمًا لبني إسرائيل وأنا عَلَمٌ لكم أيها المفرطون. فسارِعوا إلى التوبة أيها الغافلون. وإني جُعلتُ فردًا أكمَلَ من الذين أُنعِمَ عليهم في آخر الزمان، ولا فخر ولا رياء، واللهُ فعَل كيف أراد وشاء، فهل أنتم تحاربون الله وتزاحمون. وأنا المسيح الموعود الذي قُدّر مجيئُه في آخر الزمان من الله الحكيم الديّان، وأنا المنعَم عليه الذي أُشيرَ إليه في الفاتحة عند ظهور الحزبين المذكورين وشيوع البدعات

والفتن، فهل أنتم تقبلون؟ وإن إنكاري حسراتٌ على الذين كفروا بي، وإن إقراري بركاتٌ للذين يتركون الحسد ويؤمنون. ولو كان هذا الأمر والشأن من عند غير الله لمزّق كلَّ مُمزَّق، ولجمع علينا لعنة الأرض ولعنة السماء، ولأفاز الله أعدائي بكل ما يريدون. كلاّ.. بل إنه وعدٌ من الله وقد تمّ صدقا وحقّا، وإنه بُشرى للذين كانوا ينتظرون. وقد رُفِعَ قضيتنا إلى الله، وإن حزبنا أو حزبكم سيُنصَرون أو يُخذَلون.

فحاصل الكلام في هذا المقام أن الفاتحة قد بيّنتْ أن هذه الأمّة أمّةٌ وسطٌ مستعدّةٌ لأن تترقّى، فيكون بعضهم كنبيٍّ من الأنبياء، ومستعدّة لأن تتنـــزّل فيكون بعضهم يهودا ملعونين كقِردة البيداء، أو يدخلون في الضالين ويتنصّرون. وكفاك هذا الدعاءُ الذي تقرأه في صلواتك الخمس إن كنتَ من الذين يطلبون الحق وإليه يحفِدون. وقد ثبت منه أنه ستكون ﴿المغضوب عليهم﴾ منكم، وسيكون الضالون منكم بتنصُّرهم، فكيف يمكن أن لا يكون المسيح الموعود منكم الذي أُشير إليه وإلى جماعته في قوله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؟ فلا تُفرّقوا في الفِرَق الثلاث الذين أنتم لهم وارثون. لا يأتيكم يهودي من بني إسرائيل، ولا نبي من السماء، إنْ هي إلا أسماءُ هذه الأمّة إن كنتم تعرفون. أتعجبون أن يسمّي الله بعضكم يهوديا وبعضكم نصرانيا وبعضكم عيسى؟ فلا تكذّبوا كلام الله وفَكِّروا فيما أومى، وانظروا حق النظر أيها المخطئون.

أم يقولون إنا لا نرى ضرورة مسيح ولا مهدي، وكفانا القرآن وإنا مهتدون. ويعلمون أن القرآن كتابٌ لا يَمَسّه إلا المطهَّرون. فاشتدّت الحاجة

إلى مفسِّر زُكِّيَ مِن أيدي الله، وأُدخِلَ في الذين يبصرون. وَيْحَكم! كيف تكذّبون كتاب الله وتكفرون بنبئِه؟ أيأمركم إيمانكم أن تكفروا بأنباء الله إن كنتم تؤمنون؟ وقد خلت قوم من قبلكم ظنوا كظنكم في رسلهم، فبلّغوا التكذيب والإهانة منتهاها وكانوا يعتدون، فأقبلَ المأمورون على رهم واستفتحوا، فخاب الذين كانوا يصُدّون عن سبيل الله ولا ينتهون. فاتّقوا سُنَنَ الله وغضبه أيها المجترئون! إنكم تركتم الله فترككَم، وفعلتم فعل اليهود واتّبعتم آراءهم، وقد أذاق الله اليهود جزاءهم، فتوبوا إلى بارئكم وتعالوا إلى ما أقول لكم كما بدأكم تعودون. وبلِّغوا الأمر إلى ملوككم إن استطعتم، وكونوا أنصار الله لعلكم تُرحمون. وما من قضية أصرّ عليها أهل الأرض إلا قُضيتْ في آخر الأمر في السماء، وتلك سُنّةٌ لا تبديل لها أيها الظالمون. وما كان الله ليترك الحق وأهله حتى يميز الخبيث من الطيب، فما لكم لا تبصرون؟ وإنْ أَكُ كاذبا فعليّ كذبي، وإن أَكُ صادقًا فأخاف أن يمسّكم نَصَبٌ من الله، وإنه لا يفلح المعتدون. تُوبوا توبوا فإن البلاء على بابكم، وسارِعوا إلى توّابكم، وأَمهِلوا بعض هذا التدلل، واحضُروا الله من التذلل، أليس الموت بقريب، ونكال الآخرة أمرٌ مهيب، ولا إصلاح بعد الموت ولا ترجعون. وقد أُوحيَ إليّ من ربّي قبل أن ينـــزل الطاعون أَن "اصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا، وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ. إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ". وقد أشعتُ هذا الوحي من سنين، ويعلمه المحبّون والمعادون. واللهُ يأتي الأرض ينقُصها من أطرافها، فتوبوا إلى الله أيها الغافلون. ولا تفرّطوا في حقوق الله وعباده، ولا تكونوا

من الذين يظلمون، وتوبوا توبةً نَصوحًا لعلكم تُرحَمون. وقال ربي "إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ. إِنَّهُ آوَى الْقَرْيَةَ"، يعني مَن دخلها كان آمنًا، وأخاف على الذين لا يخافون الله ولا ينتهون. فقُوموا من مواضعكم خاشعين، واسجدوا توّابين، وكونوا لنفوسكم ناصحين، وفَكِّروا مرتعدين، ولا تكونوا كالذين يفسقون وهم يضحكون. إن إنكار المأمورين شيء عظيم، ومن حاربهم فقد ألقى نفسه في الجحيم، فلا خير في هذه الحرب أيها المحاربون. وأنتم تقرأون في الفاتحة ذِكر قوم غضب الله عليهم بما كفروا بالمسيح عيسى ابن مريم وكفّروه وآذوه وحقّروه وأسَروه وأرادوا أن يصلبوه ليحسب الناس أنه أشقى الناس والملعون، ففَكِّروا في أُمّ الكتاب حق الفكر.. لِمَ حذَّركم الله أن تكونوا المغضوبَ عليهم، ما لكم لا تفكّرون؟ فاعلموا أن السرّ فيه أنّ الله كان يعلم أنه سوف يبعث فيكم المسيح الثاني كأنه هو، وكان يعلم أن حزبًا منكم يكفّرونه ويكذّبونه ويحقّرونه ويشتمونه ويريدون أن يقتلوه ويلعنونه، فعلَّمكم هذا الدعاء رُحمًا عليكم وإشارةً إلى نبأٍ قدَّره، فقد جاءكم مسيحكم فإن لم تنتهوا فسوف تُسألون. وثبت من هذا المقام أن المراد من المغضوب عليهم عند الله العلاّم[٢٢] هم اليهود الذين فرّطوا في أمر عيسى رسول الله الرحمن، وكفّروه وآذَوه ولُعنوا على لسانه في

[٢٢] - الحاشية: إن لفظ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قد حذا لفظَ ﴿الضَّالِّينَ﴾، أعني وقَع ذلك بحذاء هذا كما لا يخفى على المبصرين. فثبت بالقطع واليقين أن المغضوب عليهم هم الذين فرّطوا في أمر عيسى بالتكفير والإيذاء والتوهين، كما أن الضالين هم الذين أفرطوا في أمره باتخاذه رب العالمين. منه

القرآن، وكذلك مَن شابَهَهم منكم بتكفيرِ مسيحِ آخر الزمان وتكذيبه وإيذائه باللسان، والتمنّي لقتله ولو بالبهتان، كما أنتم تفعلون. والمراد من قوله ﴿الضَّالِّينَ﴾ النصارى الذين أفرطوا في أمر عيسى وأَطْرَأُوه وقالوا إن الله هو المسيح وهو ثالث ثلاثة، يعني الثالث الذي يوجد فيه الثلاثة كما هم يعتقدون. والمراد من قوله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هم النبيون والأخيار الآخرون من بني إسرائيل الذين صدّقوا المسيح وما فرّطوا في أمره وما أفرطوا بأقاويل، وكذلك المراد عيسى المسيحُ الذي خُتِمَتْ عليه تلك السلسلة وانتقلت النبوّة، وسُدَّ به مجرى الفيض كأنه العَرِمة، وكأنه لهذا الانتقال العَلَمُ والعلامة، أو الحشر والقيامة، كما أنتم تعلمون. وكذلك المراد من ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في هذه الآية هو سلسلة أبدال هذه الأمّة الذين صدّقوا مسيح آخر الزمان، وآمنوا به وقبِلوه بصدق الطويّة والجَنان.. أعني المسيحَ الذي خُتِمتْ عليه هذه السلسلة، وهو المقصود الأعظم من قوله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ كما تقتضي المقابلةُ ولا ينكره المتدبّرون، فإنّه إذا عُلِمَ بالقطع واليقين والتصريح والتعيين أن المغضوبَ عليهم هم اليهود الذين كفّروا المسيح وحسبوه من الملعونين كما يدل عليه قرينةُ قوله ﴿الضَّالِّينَ﴾، فلا يستقيم الترتيب ولا يحسُن نظام كلام الرحمن إلا بأن يُعنى مِن ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مسيحَ آخر الزمان، فإن رعاية المقابلة مِن سنن القرآن ومن أهم أمور البلاغة وحسن البيان، ولا ينكره إلا الجاهلون. فظهر من هذا المقام بالظهور البيّن التامّ أنه مَن قرأ هذا الدعاء في صلاته أو خارجَ الصلاة، فقد سأل ربّه أن يُدخِله في جماعة المسيح الذي يكفّره قومه ويكذّبونه ويفسّقونه ويحسبونه شرّ

المخلوقات، ويسمّونه دجّالاً وملحدًا ضالاًّ كما سَمَّى عيسى اليهودُ الملعونَ. وإذا تَقرّرَ هذا فبَيِّنوا مَن قام فيكم مِن دوني يدّعي أنه هو المسيح الموعود وأنتم كفّرتموه وخاطبتموه بهذه الأسماء وجرحتموه بسهام الإفتاء؟ أتكذّبون النبأ الذي أتممتموه بألسنكم أيها السالقون؟ ألا تأخذكم الحياء أنكم تدْعون ربكم في الفاتحة أن يُدخلكم في جماعتي، ثم تعرضون؟ وكنتم تقولون لا صلاة إلا بالفاتحة، فلا تكونوا أوّلَ كافر بها أيها الموحّدون. والعجب منكم كل العجب أنكم تقرأون هذا الدعاء في السبع المثاني مع فهم المعاني في أوقاتكم الخمسة ثم تنسونه وتعرضون. وما هذا إلا شقاوة توجب غضب الربّ لِما هي إعراض عما تؤمرون. وما أسألكم على ما جئتكم به من أجر، ولا أقول أنِ انْبذوا مالاً من أيديكم فآخذُه، بل أوتيكم مالاً، فهل أنتم تأخذون؟ أيها الفقراء، ما بقي في أيديكم شيء من الدنيا والآخرة، فلا تظلموا أنفسكم وأنتم تعلمون. وإن كنتم في شك من أمري، فامتحنوني كيف شئتم، ولا تنسَوا سنن الله في قوم يُرسَلون. واعلموا أنكم خرجتم على قدم بني إسرائيل، فلا تنسَوا ما مَسَّهم إن كنتم تعقلون، فإنّ الله قد غضب على اليهود مرّتين ما غضب كمثلها من قبل ولا من بعد، وسمّاهم المغضوب عليهم، ولعنهم مرّة على لسان داود وثانية على لسان عيسى، فتلك الغضبُ الأشدُّ انحصرتْ في المرّتين كما لا يخفى على الذين يتدبّرون، وقال الله ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا

كَبِيرًا﴾[٢٣]، فهل أنتم تتذكّرون؟ وكان المفسدة الآخرة الموجبة لغضب الربّ تكفيرَ المسيح وإرادة صلبه كما أُشير في اللعنتين المذكورتين، واتّفق عليه صحفُ الله والمؤرّخون. فالذين سمّاهم الله المغضوب عليهم في الفاتحة هم اليهود الذين كذّبوا المسيح وأرادوا أن يصلبوه، ويعلمه العالمون. وإنّ لفظ ﴿الضَّالِّينَ﴾ الذي وقع بعد ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قرينة قطعية على هذا المعنى، ولا يرتاب فيه إلا الجاهلون. فإن ﴿الضّالين﴾ قومٌ أفرطوا في أمر عيسى، فثبت من هذا أن ﴿المغضوب عليهم﴾ قوم فرّطوا في أمره، وهذان اسمان متقابلان أيها الناظرون. ثم خوّفكم الله أن تكونوا كمثلهم فيحلّ الغضب عليكم كما حلّ على أعداء المسيح ومسَّهم لعنتُه المذكورة في القرآن، وفي هذه تنبيه لكم أيها المنكرون. وما ألزمَكم الله قراءةَ الفاتحة في كل ركعة إلا لهذا الغرض أيها العاقلون. فلا تُلقوا معاذيركم، وقد تمّت حُجّة الله عليكم، فأين تفرّون؟ وما كفَر اليهود بالمسيح إلا لِزعمهم أنه خالفَ عقيدتهم وما جاء كما كانوا يترقّبون، ولِزعمهم أنه ليس من بني إسرائيل وخانتْ أُمُّه، فغضِب الله عليهم فهلك القوم المفسدون. فاذكروا الفاتحة التي تقرأونها في كل ركعة، وليست الصلاة إلا بالفاتحة، فاحملوا ما حُمّلتم فيها، ولا تكونوا كالذين يقولون ولا يفعلون. ولا تقرَبوا الفاتحةَ وأنتم لا تعرفونها، ولا تقرَبوها وأنتم لا تعتقدون. أحسِبتم قراءةَ الفاتحة وفي كل ركعةٍ تلاوتَها كعَملكم بها؟ ساء ما تزعمون. ولستم على شيء منها

[٢٣] – *الإسراء: ٥*

وما آمنتم بحرف من حروفها حتى تؤمنوا بالمسيح الذي بُعث بينكم منكم، وشهدتْ سورة النور عليه، فهل أنتم تؤمنون؟ وإن لم تؤمنوا بها و لم تعملوا فيحلّ عليكم غضب الله كما حلّ مِن قبلكم على اليهود. واتّقوا الله الذي إن عصيتم ينْزع الدينَ والدولة منكم ويؤتيهما قوما يطيعون. وتعرفون ما فُعِلَ باليهود بعد المسيح ولا تُعجِزه المجرمون. واللهُ غنيّ عن العالمين إن كانوا لا ينتهون. وما قلتُه من عند نفسي بل قاله الله ربكم، أما قرأتم ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[٢٤] و﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢٥]، ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٢٦]، فقد غيّرتم فسوف تعلمون. وتقولون إنّا نحن المسلمون، والله يعلم ما تعملون أيها المتصلّفون. ألم يأنِ أن تخشع قلوبكم وتخافوا وعيدَ الله وقد رأيتم أياما كأيام اليهود؟ أفلا تبصرون؟ توبوا توبوا قبل أن تهلكوا، ولا تغضَبوا على داعي الله ولا تحاربوا ربّكم، أتقدرون أن تردّوا ما أراد الله؟ ونعلم أنكم لا تقدرون. فاتّقوا الله ولا تنسَوا المَنون. وإنّ وعد الله حق، فاخشوا عواصف، أيها المتّقون. وإنه مالكٌ يؤتي المُلك من يشاء، وينْزع المُلك ممن يشاء، ألا تنظرون إلى قول الله ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾؟ فقد قيل لكم ما قيل لليهود وأنتم تعلمون مآلَ أمرهم ولا تجهلون. اتقوا اتقوا، واتركوا التكبّر واخشعوا، وادفعوا الرُّجْزَ وتَطهّروا، وارحموا ذراريكم ولا تظلموا، واتّقوا الله الذي إليه تُصرَفون. لا

[٢٤] - *الأعراف: ١٣٠*
[٢٥] - *يس: ٨٣*
[٢٦] - *الرعد: ١٢*

اسمَ على السماء إلا اسم المنقطعين، فجاهِدوا أن تُكتَب أسماؤكم في السماء، ولا تفرحوا بقشر الإسلام أيها المسلمون. قد اقتربت أيام الله، وإنه يذهب بالفاسقين منكم، ويأتي بقوم يحبهم ويحبونه.. يذكرون الله ويذكرهم، ويُتمّ عليهم كل ما وعدكم من النعم، ولا تضرّونه شيئا، فما لكم لا تتقون؟ إن مثل نبيّنا عند الله كمثل موسى، وإن موسى وعد قومًا، وأتمَّه لقوم آخرين، وأهلكَ الله آباءهم في الفلاة لِما كانوا قومًا عاصين، وكذلك يفعل بكم أيها المعتدون، ويرحمكم أيها الصالحون. فأصلِحوا ذاتَ بينكم وأصلحوا ما أفسدتم، ولا تقعدوا مع الذين يستكبرون. أتُعجِزون ربَّ السماء ببطشكم أو تخدعونه بخديعتكم؟ كلا.. بل إنكم على أنفسكم تظلمون. ولا أقول لكم عندي علم أو قوة. سبحان الله! ما أنا إلا عبدٌ ضعيف، وأنطقني الذي يُنطِق رسلَه، فما لكم لا تفهمون؟ اترُكوا الفاتحة، أو اعملوا بها حياءً من الله إن كنتم قومًا تتّقون. أتقرأونها وهي لا تُجاوز حناجركم أيها المراءون؟ وإن المغضوب عليهم هم اليهود الذين حذّركم الله من مضاهاتهم، الذين فرّطوا في أمر عيسى، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. أتنتظرون من دوني مسيحًا الذي يُؤذَى كمثلي، فتكفّرونه وتكذّبونه وتشتمونه كمثلي، وكدتم تقتلونه، وكفاكم هذا الوِزْرُ الذي احتملتم بتكفيري، فلا تجسّسوا مسيحا آخر لتكفروه، أتستطيعون أن تحملوا الوِزْرَين أيها المعتدون؟ ولا بد لكم أن تكفّروا المسيح الصادق ليتمّ نبأ الله، وقد كفّرتموني وتمّ ما قدّر لكم، فلا تطلبوا تكفيرًا آخر إن كنتم تعقلون.

وتفصيل المقام أن الله قد أخبر عن بعض اليهود في سورة الفاتحة أنهم كانوا محلّ غضب الله في زمن عيسى ابنِ الصدّيقة، فإنهم كفّروه وآذوه وأثاروا له كل نوع الفتنة، ثم أشار إلى أن طائفة منكم كمثلهم يكفّرون مسيحهم ويكمّلون جميع أنحاء المشابهة، ويفعلون به ما كانوا يفعلون. وأنتم تقرأون آية ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، ثم لا تلتفتون. أعلَّمكم الله هذه السورة عبثًا كوضع الشيءِ في غير محلّه، أو كتَبها لتذكيرِ جريمة ترتكبونها؟ ما لكم لا تُمعِنون؟ وما غضِب الله على تلك اليهود إلا لما كفّروا رسوله عيسى وكذّبوه وشتموه وكادوا أن يقتلوه من الحسد والهوى، وقد كتب عليكم قدرُ الله أنكم تفعلون بمسيحكم كما فعل اليهود بمسيحهم، وقد فعلتم بي كمثله، فهل بقي هوًى لكم يا حزبَ العدا أن تكفّروا وتكذّبوا وتؤذوا كمثلي نفسًا أخرى؟ وقد شهدت ألسنُكم وأقلامكم ومكائدكم أنكم أتممتم عليّ ما أُشيرَ إليه في سورة الفاتحة، فارحموا مسيحًا آخر وأَقيلوه مِن هذه العزّة أيها المنتظرون. أما شبعتم بهذا القدر؟ أتريدون أن ينـــزل عيسى ابن مريم من السماء ثم تفعلوا به ما فعل اليهود به من قبل، ويجتمع عليه القارعتان والتكفيران والذلّتان، ويذوق اللعنة مرّتين، بل ثلاث مرات[٢٧]، ولن

[٢٧] – الحاشية: قد ثبت من مفهوم قوله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أن المسيح الموعود قد قدّر له أن يلعنه الذين يقولون إنّا نحن المسلمون الذين غضب الله عليهم كما غضب على اليهود وهم لا يعلمون. فإنْ فرضنا أن المسيح الموعود هو المسيح الذي أُنزِلَ عليه الإنجيل فعند ذلك تجتمع عليه لعنات ثلاث: لعنة من اليهود، ولعنة من

يجمع الله عليه اللِعان الثلاث كما أنتم تزعمون. وقد لعنتم مسيحًا جاءكم منكم، وأتممتم عليه ما كُتِبَ في كتاب الله، فهو المسيح الموعود إن كنتم تتفكّرون.

سيقولون إنا لا نحضُره إلا تذلّلاً وطاعةً، فكيف نكفّره ونؤذيه وإنّا به مؤمنون؟ قُلْ هذا قدرٌ من الله كتب على حزبٍ منكم في الفاتحة، وإنّ قدر الله لا يُبدَّل أيها الجاهلون. ألا تقرأون الفاتحة وقد كنتم تصرّون عليها أيها المحدِّثون؟ اليوم عاداكم الفاتحةُ وأنتم عاديتموها، وصار التزامها عذابَ أنفسكم كأنها جرعةٌ غير سائغ تبلَعونها ولا تستطيعون. ولا تتلون بعد ذلك هذه السورة إلا وأنتم تتألّمون. ولا تتلون ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ إلا وتغضبون على أنفسكم وتتندّمون. وترونها عذابا شديدا في كل حين تقرأون. فحينئذ تحترق قلوبكم بلظَى الحسرة وربما تودّون لو كنتم تترُكون.

النصارى، ولعنة من المسلمين الذين يكفّرونه عند نزوله ويكذّبون. فكأنّ السرّ في إنزال عيسى هو تكميل أمر اللعن وإدخال المسلمين في الذين يلعَنون. منه

الباب الرابع

إن الذين يزعمون أن عيسى صعد إلى السماء ليس عندهم سلطان وإنْ هم إلا يكذبون. أكتَبه الله في القرآن فيتّبعونه، أو قاله الرسول فيقولونه؟ كلاّ.. بل هم يفتَرون. ولن تجد آية في هذا الباب، ولا حديثا من نبيّنا المستطاب، ولا يقبَله العقل السليم أيها العاقلون. وقالوا إن المسيح رُفع إلى السماء الثانية وصُلِبَ مقامَه رجل آخر، فانظرْ إلى كذبٍ ينحِتون. أكانوا حاضرين عند هذه الواقعة، أو وجدوها في الكتاب والسنّة، فليُخرجوها لنا إن كانوا يصدُقون. كلاّ.. بل إنهم يفترون على الله ورسوله ولا يتّقون. ولا يفكّرون في أنفسهم أن العقل يخالف هذه القصّة ولا يصدّقها المتفرّسون. فإن الذي صُلِبَ في مصلب عيسى إنْ كان من المؤمنين، فكيف صلَبه الله وقد قال في التوراة إنه مَن صُلب فهو ملعون؟ أَلَعَنَ عبدًا ويعلم أنه مؤمن، سبحانه وتعالى عمّا يصفون! وقد لعن الله في التوراة كلَّ مَن صُلب، فاسألْ أهل التوراة إن كنت من الذين لا يعلمون. وإن كان المصلوب من أعداء عيسى ومن الكفار فكيف سكت المصلوب عند صلبه وما برّأ نفسه، وكيف بقي أمره كالمكنون؟ وكان المصلوبون لا يموتون إلا إلى ثلاثة أيام أو يزيدون، فكانت المهلة كافية، فاسأل الذين يصلبون عدوًّا من أعداء عيسى كيف سكت المصلوب إلى هذا الأمد.. أيقبله العاقلون؟ ألم يبق له شهداء مِن أُمّه وزوجه وإخوانه وجيرانه وأحبابه وأصحابه ومن الذين كان أودعَهم أسرارَه وكانوا يعرفونه؟ هيهات هيهات لما تزعمون! وشتّان بين الحق وبين هذه

المفتريات، أمَا بقي عندكم مثقال ذرّة من عقل به تعقلون؟ بل هذه القصص خرافات لا أصل لها، ولا تقبلها الفطرة الصحيحة، ولا توجد إليها الإشارة الجليّة أو الخفيّة في كتاب الله ولا في أثر رسوله، فالذين يتّبعونها لا يتّبعون إلا سَمْرًا وإنْ هم إلا يعمهون.

وأما نزول عيسى فاعلم أن لفظ النـــزول عربي يُستعمل في محل الإكرام والإجلال، وتعلمون معنى النـــزيل أيها المتفقّهون. وما رأينا في كتب الحديث خبرًا من رسول الله مرفوعًا متّصلا يُفهَم منه أن عيسى ينـــزل من السماء، وما وجدنا لفظ السماء في أحد من الأحاديث الصحيحة القوية، وهذا أمر بديهي يعلمه المحدِّثون، ولا ينكره إلا الذي جهل أو تجاهل، ولا ينكره إلا العمون. ومع ذلك إنه أمرٌ خالفَ القرآنَ وعارضه، فبأي حديث بعد القرآن تؤمنون؟ وقد قال الله سبحانه ﴿مَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ[٢٨] مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، فصرّح بأن الأنبياء الذين كانوا من قبل ماتوا كلهم والمرسلون. وهذه آية تلاها أبو بكر الصديق ﵁ إذ كان الأصحاب يختلفون.. أعني إذا اختلف بعض الناس من الصحابة في موت رسول الله ﷺ، وقال عمر إنه سيرجع كما يرجع عيسى، وكذلك قال بعضهم الذين كانوا يخطئون، فسمع أبو بكر كلامهم وما كانوا يزعمون، فقام على المنبر واجتمع الصحابة حوله وتلا الآية المذكورة وقال اسمعونِ. وكانوا مجتمعين

---

[٢٨] – الحاشية: قد جرتْ سُنّة أهل اللسان في لفظ "خلا" أنهم إذا قالوا مثلا: خلا زيد من هذه الدار أو من هذه الدنيا، فيريدون من هذا القول أنه لا يرجع إليها أبدا. وما اختار الله هذا اللفظ إلا إشارة إلى هذه المحاورة كما لا يخفى. منه

كلهم لموت رسول الله ﷺ، فسمعوا وتأثّروا بأثر عجيب؛ كأن الآية نزلت في ذلك اليوم، وكانوا يبكون ويصدّقون. وما بقي أحد منهم في ذلك اليوم إلا أنه آمن بصميم القلب أن الأنبياء كلهم قد ماتوا، وقد أدركهم المنون. فما بقي لهم أسف على موت رسولهم ولا محلّ غبطة لحبيبهم، وتنبّهوا على موته، وفاضت عيونهم وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. وكانوا يتلون هذه الآية في السكك والأسواق والبيوت ويبكون. وقال حسّان بن ثابت وهو يرثي لرسول الله ﷺ بعد خطبة أبي بكر:

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِي فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحاذِرُ

يريد أن خوفي كله كان عليك، فإذا متَّ فلا أبالي أن يموت موسى أو عيسى.

فانظروا إليهم كيف أحبّوا نبيّهم، وكيف كان تصدر منهم آداب المحبّة وآثارها أيها المجادلون. وانظروا كيف اقتضتْ غيرتهم أنهم ما رضوا بحياة نبي بعد موت رسول الله، فهُدُوا إلى الصراط كما يُهدَى العاشقون. واجتمعت قلوبهم على مفهوم آية ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ وآمنوا به وكانوا به يستبشرون. ثم أتيتم بعدهم.. ما قدرتم نبيّكم حقّ قدره وتقولون ما تقولون. أتأمركم محبّتكم بنبيكم أن يبقى عيسى على السماء حيًّا وقد مضى ألفٌ وقريب مِن ثُلُثه على موت رسول الله؟ ساء ما تحكمون. أرَضِيتم بأن يكون نبيكم مدفونا في التراب في المدينة، وأما عيسى فهو حيّ إلى هذا الوقت؟ اتقوا الله أيها المجترئون. قد كان إجماع الصحابة على موت عيسى أوّلَ

إجماع انعقد في الإسلام باتفاق جميعهم، وما كان فرد خارجًا منه كما أنتم تعلمون. وهذا منّة من الصدّيق رضي الله عنه على رقاب المسلمين كلهم أنه أثبتَ بنصّ القرآن موتَ الأنبياء كلهم وموتَ عيسى، فهل أنتم شاكرون؟ ثم خلَف مِن بعدهم خلفٌ يتركون القرآن، ويخالفون الرحمن، وعلى الله يفترون. وقد علموا أن القرآن تَوفَّى المسيح، وكرّر البيان الصريح، ومنعه من الصعود إلى السماء، وبشَّر المسلمين بأن خاتم الخلفاء ومسيح هذه الأمّة ليس إلا من الأمّة، فأيّ مسيح بعدي ينتظرون؟

وقالوا ما نرى ضرورة مسيح وكفانا القرآن، وقد كذّبوا كتاب الله وهم يعلمون. ولو كانوا يتّبعون القرآن لما كذّبوني، لأن القرآن يشهد لي ولكنهم كذّبوا، فثبت أنهم يتصلّفون وبالقرآن لا يؤمنون، وتكذِب ألسنهم، وليس في قلوبهم إلا الدنيا، وإليها يتمايلون. ويرون أن المُلك قد زُلزلَ وحلَّ السّامُ، وهدَّر الحِمامُ، ثم لا يرجعون. أفلم ينظروا إلى مفاسد الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها، ولكنهم قوم يستكبرون. أيكفرون بآدمِ هذا الزمانِ وقد خُلق على الأرض مِن كلِّ نوعِ دابةٍ، أفلا ينظرون؟ وتراءى بعض الناس كالكلاب، وبعضهم كالذئاب، وبعضهم كالخنازير، وبعضهم كالحمير، وبعضهم كالأفاعي يلدغون. وما مِن حيوان إلا وظهر كمثله حزبٌ من الناس وهم كمثلها يعملون. وكذلك فَتِقَتِ الأرض حقَّ فَتْقها، ألم يأنِ أن يخلق الله آدم بعدها، وينفخ فيه روحه، ولا تبديلَ لسُنّة الله أيها العاقلون.

وإذا قيل لهم سارِعوا إلى خليفة الله، واتّبعوا ما كشف الله عليه لعلكم تُرحمون، رأيتَهم تحمرّ أعيُنهم من الغيظ، وقالوا ما كان لنا أن نتّبع جاهلا

ونحن أعلم منه، فعليه أن يُبايعنا، أنُبايع الذي لا يعلم شيئا وإنّا لَعالمون. فليصبروا حتى يرجعوا إلى ربهم ويطّلعوا على صورهم، وذَرْهم وما يكيدون. وقد وسَم الله على خراطيمهم، وأظهر حقيقة علومهم، ثم لا يتندّمون. وإذا دُعوا إلى الحق تعرف في وجوههم المنكَر، ويمرّون علينا وهم يسبّون. أولئك الذين طبع الله على قلوبهم، وأعمى أبصارهم، وطمس وجوههم، فهم لا يؤانسون. وإنهم ينتظرون المسيح من السماء، ويفرحون بكلمات مدسوسة أُدخلت في الإسلام بسبب النصارى عندما كانوا يُسلِمون. وكيف ينــزل الذي أُنزلَ عليه الإنجيل وقد قال القرآن ﴿مِنْكُمْ﴾[٢٩]، فهل يُهلَك إلا الكاذبون؟ أنُزِّلَ عليهم قرآن آخر، أو شابهوا اليهودَ فحرّفوا كما كانوا يحرّفون؟ وإن القرآن قد تَوفَّى المسيحَ، والمسيحُ أقرّ به في القرآن، ألا يتدبّرون قوله ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، أم على القلوب أقفالها، أم هم عمون؟ وإن القرآن أشار في أعداد سورة العصر إلى وقتٍ مضى من آدم إلى نبينا بحساب القمر، فعُدّوا إن كنتم تشكّون. وإذا تقرّرَ هذا فاعلموا أني خُلقتُ في الألف السادس في آخر أوقاته كما خُلق آدم في اليوم السادس في آخر ساعاته، فليس لمسيحٍ مِن دوني موضعُ قدم بعد زماني إن كنتم تفكّرون ولا تظلمون. فأنا صاحب الزمان لا زمان بعدي، فبأي زمان تُنــزِلون مسيحكم المفروض

---

[٢٩] – الحاشية: سمعتُ أن بعض الجهّال يقولون إن المهدي من بني فاطمة، فكيف يقول هذا الرجل إني أنا المهدي المعهود وإنه ليس منهم؟ فالجواب أن الله يعلم حقيقة الأحوال وحقيقة النسب والآل، ومع ذلك إني أنا المهدي الذي هو المسيح المنتظر الموعود، وما جاء فيه أنه من بني الفاطمة فاتقوا الله والساعةَ الحاطمة. منه

أيها الكاذبون؟ وقد اتّفق على هذه العِدّة التوراةُ والإنجيل والقرآن، فاسألوا أهل الكتاب إن كنتم ترتابون. وقد مضى آخر الألف السادس، وما بقي وقتُ نزول المسيح بعده، وإنّ في هذا لآية لقوم يطلبون. وكان هذا مِن معالم الموعود في القرآن ويعلَمها المتدبّرون. وإن الألف السادس كاليوم السادس الذي خُلق فيه آدم، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

الباب الخامس

يا أهل الدهاء والاتّقاء من الناظرين، اعلموا أن زماننا هذا هو آخر الزمان[٣٠] وأنا من الآخِرين. وإن يومنا هذا يوم الجمعة حقيقةً، وقد جُمعت فيه أناسُ ديارٍ وأرضين، وجُمعتْ كل ما تحتاج إليه نفوس الناس من سعادة الدنيا والدين، ومن أنواع العلوم والمعارف وأسرار الشرع المتين، وزُوّجت النفوس، فترى كلَّ بابورة[٣١] تأتي عند إصباحها وإمسائها بأفواج من المشرِّقين والمغرِّبين، وجُمعتْ بها ثمار المشرق والمغرب بإذن الله أرحم الراحمين، وفي آخر الأمر يجمع الله فيه شَمْلَ ديننا رحمةً على هذه الأمّة وعلى العالمين، ويُنجّي الخَلق من شفا حُفرة كانوا عليها.. وعدٌ من الله وهو أصدق الصادقين، ويظهر الإسلام على الأديان كلها، وترى جمعًا من كل قوم يدخلون فيه توّابين. فلا شكّ أن زمننا هذا جُمعةٌ تشهد الأرض والسماء عليه، وقد جُمع فيه كل ما تفرّقَ في الأوّلين. وإني خُلقتُ في هذه الجمعة في ساعة العَصر والعُسر للإسلام والمسلمين، كما خُلق آدم صفيُّ الله في آخر

---

٣٠ – الحاشية: لا يقال إن ساعة القيامة مخفيّة فلا يجوز أن يُقال لزمان إنه هو آخر الأزمنة. فإنا لا نعيّن الساعة بل نقول إنها غير معيَّن في هذه الساعات المعيّنة، ولا شك أن القرآن شبّه ألوفَ الدنيا بأيام الخِلقة، فيُستنبط مِن هذا كلُّ ما قلنا، كما لا يخفى على ذوي الفطنة. منه

٣١ – *البابورة: الباخرة (المنجد). وقد استخدمها المسيح الموعود عليه السلام هنا بمعنى القطار. (الناشر)*

ساعة الجمعة، وإن زمانه كان نموذجا لهذا الحين، وكان وقت عصره ظلاًّ لهذا العصر الذي عُصِرَ الإسلام فيه وصُبّتْ مصائب على ديننا، وكادت أن تغرب شمس الدين. وترون في هذه الأيام أن نور الإسلام قد عُصر من كثرة الظلام واللئام وصَولِ المخالفين بالأقلام والمكذّبين، وكاد أن لا يبقى أثر منه لو لم يتداركه فضلُ الله الكريم المُعين. فاقتضتْ غيرةُ الله أن يبعث فيه مجدِّدًا يشابه آدمَ، فخلَقني في هذا اليوم في وقت العصر أعني ساعة العسر وعلّمني من لدنه وأكرمَ، وأدخلَني في عباده المكرمين، وجعلني حَكَمًا للأقوام الذين يختلفون، وهو أحكم الحاكمين. ورأى القومُ أن الله نصرني، وفي كل أمرٍ أيّدني، وطرَدوا فآواني، وصالوا فحماني، وزاد جماعتي وقوَّى سلسلتي، فألقاهم في التحيّر فضلُ الله عليّ، وزاده سوءُ ظنهم، وقالوا أيجعل الله رجلا خليفة في الأرض وهو يفسد فيها ويسفك الدماء، فأجابهم الله بواسطتي فقال إني أعلم ما لا تعلمون. وقالوا قُتِل فلان مظلوما، وأُريدَ قتلُ فلان من المتنصّرين، ونسبوا القتلَ إليّ ليُدخِلوني في الذين يفسدون في الأرض ويقتلون الناس ظلمًا وفسادًا، والله يعلم إني بريء منها، وإنّ كلماتهم هذه ليس إلا بهتانٌ عليَّ، والله عليم بالظالمين، وهناك أوحى الله إليّ حكايةً عن قولهم ﴿أتَجْعَلُ فيها﴾.. إلى قوله ﴿إنّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُون﴾[٣٢]، عبرةً للمجترئين. وما جرتْ هذه الأقوال على ألسنهم إلا ليُتمّوا نبأ الله الذي سبق من قبل وليُثبِتوا مضاهاتي بآدم في تهمة الفساد وسفك الدماء، فأجابهم الله بوحيه،

[٣٢] - *البقرة: ٣١*

وقد طُبع وأُشيعَ هذا الوحي قبلَ قتل المشرِك الذي يزعمون فيه كأني قتلتُه، وقبلَ موتِ نصرانيٍّ يزعمون فيه كأن أصحابي صالوا لقتله، فالحمد لله الذي دافعَ عني بكلمات قيلت في آدم وهو خير المدافعين. هو الذي ردَّ بي شمسَ الإسلام بعدما دنت للغروب، فكأنّها طلعتْ من مغربها وتجلّت للطالبين. وإن مَثلي عند ربي كمثل آدم، وما خُلقتُ إلا بعدما كثرتْ على الأرض النَّعَمُ والسباع والدود والضباع، وكثر كلُّ نوعِ الدوابِّ على ظهرها، وخالفَ بعضها بعضا، وما كان آدم ليملكهم ويكون حَكَمًا عليهم وفاتحا بينهم، فجعلني الله آدمَ وأعطاني كل ما أعطى لأبي البشر، وجعلني بُروزًا لخاتم النبيين وسيد المرسلين. والسرّ فيه أن الله كان قضى من الأزل أن يخلُق آدم الذي هو خاتم الخلفاء في آخر الزمان كما خلق آدمَ الذي هو خليفته الأول في شرخ الأوان، لتستدير دائرة الفطرة، وليُشابهَ الخاتمةُ بالفاتحة، وليكون هذا التشابه للتوحيد كسلطان مبين، ولِيَدُلَّ المصنوع على صانعه بالدلالة الصورية، فإن الهيئة المستديرة تُضاهي الوحدةَ، بل تشتمل على معنى الوحدة، ولذلك يوجد استدارةٌ في كل ما خُلق من البسائط، ولا يوجد بسيط خارجًا من الكُروية.. ذلك ليعلم الناس أن الله هو الأحد الفرد الذي صبّغ كلّ ما خلقه بصبغ الأحَدية، وليعرفوا أنه هو رب العالمين. وحاصل الكلام أن الله وترٌ يحبّ الوتر، فاقتضتْ وَحْدتُه أن يكون الإنسان الذي هو خاتم الخلفاء مشابهًا بآدم الذي هو أوّلُ مَن أُعطيَ خلافةً عظمى، وأوّلُ مَن نُفخ فيه الروح من رب الورى، ليكون زمان نوع البشر كدائرة يتصل النقطة الآخرة بنقطتها الأولى، وليدل على التوحيد الذي دُعي إليه الإنسان.

والتوحيد أحبُّ الأشياء إلى ربنا الأعلى، فاختار وضعًا دوريًّا في خلق الإنسان، فلذلك ختَم على آدم كما كان بدأ من آدم في أوّل الأوان، وإن في ذلك لآية للمتفكّرين.

وإنّ آدمَ آخرِ الزمانِ حقيقةً هو نبيّنا ﷺ، والنسبةُ بيني وبينه كنسبة مَن علّم وتعلَّمَ، وإليه أشار سبحانه في قوله ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[٣٣]، ففَكِّرْ في قوله ﴿آخَرِينَ﴾. وأنزل الله عليَّ فيض هذا الرسول فأتمّه وأكملَه، وجذَب إليَّ لطفه وجُودَه، حتى صار وجودي وجودَه، فمَن دخل في جماعتي دخل في صحابة سيدي خير المرسلين. وهذا هو معنى ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ كما لا يخفى على المتدبّرين. ومَن فرّق بيني وبين المصطفى، فما عرفني وما رأى. وإن نبيّنا ﷺ كان آدمَ خاتمةِ الدنيا ومنتهى الأيام، وخُلِق كآدم بعدما خُلق على الأرض كلّ نوع من الدواب وكلّ صنف من السباع والأنعام، ولمّا خلَق الله هذه الخليقة من أنواع النَّعَم والسباع والدود على الأرضين؛ أعني كلَّ حزب من الفاجرين والكافرين، والذين آثروا الدنيا على الدين، وخلَق في السماء نجومها وأقمارها وشموسها.. أعني النفوس المستعدّة من الطاهرين المنوّرين، خلَق بعد هذا آدمَ الذي اسمه محمد وأحمُد، وهو سيدُ وُلْدِ آدمَ وأتقى وأسعدُ، وإمامُ الخليقة.. وإليه أشار الله في قوله ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣٤]. وبعزة الله وجلاله إنّ لفظ ﴿إِذْ﴾ يدلّ بدلالة قطعية على هذا المقصود، ويدل عليه سياق الآية وسباقها إن

---

٣٣ - *الجمعة: ٤*

٣٤ - *البقرة: ٣١*

كنتَ لست كاليهود، فلا شك أنه آدمُ آخرِ الزمان، والأُمّةُ كالذُرّية لهذا النبي المحمود، وإليه أشار في قوله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[٣٥]. فأمعِنْ فيه وتَفكّرْ، ولا تكن من الغافلين.

وإن زمان روحانية نبيّنا عليه السلام قد بدأ من الألف الخامس وكمُل إلى آخر الألف السادس، وإليه أشار في قوله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ﴾. وتفصيل المقام أن نبيّنا ﷺ قد جاء على قدمِ آدم، وأن روحانية آدم قد طلعت في اليوم الخامس لِمَا خُلق إلى هذا اليوم كلُّ ما كان من أجزاء هويّته وحقيقة ماهيّته، فإن الأرض بجميع مخلوقاتها والسماء بجميع مصنوعاتها كانت حقيقةَ هويّةِ آدم، كأن مادّتَه قد انتقلت من الحقيقة الجمادية إلى الحقيقة النباتية، ثم من الحقيقة النباتية إلى الهويّة الحيوانيّة، ثم بعد ذلك انتقلتْ من حيث الروحانية من الكمالات الكوكبية إلى الكمالات القمرية، ومن الأنوار القمرية إلى الأشعة الشمسية، وكانت هذه الانتقالات كلها مَظاهِرَ ترقّياتِ العالم إلى معارج الحقيقة الإنسانية. كأن الإنسان كان في وقتٍ جمادًا، وفي وقتٍ آخر نباتا، وبعد ذلك حيوانا، وبعد ذلك كوكبا وقمرا وشمسا، حتى جُمع في اليوم الخامس كلُّ ما اقتضتْ فطرتُه من القوى الأرضية والسماوية بفضل الله أحسن الخالقين. فكان الخَلق كله فردًا كاملا لآدم، أو مِرآةً لوجوده الذي أعزّه الله وأكرم، ثم أراد الله أن يُرِيَ هذه الخفايا على وجه الكمال في شخصٍ واحدٍ هو مظهرُ جميعِ هذه الخصال، فتجلّت روحانيةُ آدم بالتجلّي

[٣٥] - الكوثر:٢

الجامع الكامل في الساعة الآخرة من الجمعة، أعني اليوم الذي هو السادس من الستّة. فكذلك طلعَتْ روحانيةُ نبيّنا ﷺ في الألف الخامس بإجمال صفاتها، وما كان ذلك الزمان منتهى ترقّياتها، بل كانت قدمًا أُولى لمعارج كمالاتها، ثم كمُلتْ وتجلّت تلك الروحانية في آخر الألف السادس، أعني في هذا الحين كما خُلق آدم في آخر اليوم السادس بإذن الله أحسن الخالقين. واتخذتْ روحانيةُ نبيّنا خير الرسل مَظهرًا مِن أُمّته لتبلغ كمالَ ظهورها وغلبةَ نورها كما كان وعد الله في الكتاب المبين. فأنا ذلك المظهر الموعود والنور المعهود، فآمِنْ ولا تكنْ من الكافرين. وإن شئتَ فاقرأ قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾[٣٦]، وفكِّرْ كالمهتدين. فهذا وقت الإظهار، ووقتُ كمال ظهور الروحانية من الجبّار، يا معشر المسلمين، ولأجل ذلك جاء في الآثار أنه عليه السلام بُعث في الألف السادس، مع أنّ بعثه كان في الألف الخامس بالقطع واليقين، فلا شك أن هذه إشارة إلى وقت التجلّي التامِّ واستيفاءِ المرام وكمالِ ظهور الروحانية وأيامِ تموُّجِ الفيوض المحمّدية في العالمين، وهو آخر الألف السادس الذي هو الزمان المعهود لنـــزول المسيح الموعود كما يُفهَم من كتب النبيّين. وإن هذا الزمان هو موطئ قدمه عليه السلام من الحضرة الأحدية، كما يُفهَم من آية ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ وآيات أخرى من الصحف المطهّرة، ففكّرْ إن كنت من العاقلين.

---

[٣٦] – *الصف: ١٠*

واعلم أن نبيّنا ﷺ كما بُعث في الألف الخامس كذلك بُعث في آخر الألف السادس باتخاذه بُروزَ المسيح الموعود، وذلك ثابت بنص القرآن فلا سبيل إلى الجحود، ولا ينكره إلا الذي كان من العمين. ألا تفكّرون في آية ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾، وكيف يتحقق مفهوم لفظِ ﴿مِنْهُمْ﴾ مِن غير أن يكون الرسول موجودًا في الآخِرين كما كان في الأوّلين؟ فلا بد من تسليم ما ذكرناه ولا مفرّ للمنكرين. ومَن أنكرَ مِن أنّ بعْث النبي عليه السلام يتعلّق بالألف السادس كتعلّقه بالألف الخامس، فقد أنكر الحق ونصَّ الفرقانِ وصار من الظالمين. بل الحق أن روحانيته عليه السلام كان في آخر الألف السادس -أعني في هذه الأيام- أشدَّ وأقوى وأكملَ من تلك الأعوام، بل كالبدر التامّ، ولذلك لا نحتاج إلى الحُسام، ولا إلى حزبٍ من محاربين، ولأجل ذلك اختار الله سبحانه لبعث المسيح الموعود عِدّةً من المئات كعِدّة ليلةِ البدر من هجرة سيدنا خير الكائنات، لتدلّ تلك العِدّةُ على مرتبة كمال تام من مراتب الترقّيات، وهي المائة الرابع بعد الألف من خاتم النبيين، ليتم وعدُ إظهار الدين الذي سبق في الكتاب المبين، أعني قوله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[٣٧]، فانظرْ إلى هذه الآية كالمبصرين، فإنها تدل على البدرَيْن باليقين؛ بدرٌ مضت لنصر الأوّلين، وبدرٌ كانت آية للآخِرين. فلا شك أن في هذه الآية إشارة لطيفة إلى الزمان الآتي الذي يُشابه ليلةَ البدر عِدّةً.. أعني سنة أربعمائة بعد الألف، وهي ليلة البدر استعارةً عند رب العالمين، وإنْ كان

---

[٣٧] - آل عمران:١٢٤

للآية معنى آخر يتعلق بالزمان الماضي مع هذا المعنى، كما لا يخفى على العالِمين. فإنّ للآية وجهين، والنصر نصران، والبدر بدران؛ بدرٌ تتعلق بالماضي، وبدرٌ تتعلق بالاستقبال من الزمان عند ذلّة تصيب المسلمين كما ترون في هذا الأوان، وكان الإسلام بدأ كالهلال، وكان قُدّر أنه سيكون بدرًا في آخر الزمان والمآل، بإذن الله ذي الجلال، فاقتضت حكمةُ الله أن يكون الإسلام بدرًا في مائة تُشابهُ البدرَ عِدّةً.. فإليه أشار في قوله ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾، ففكّرْ فكرة كاملة ولا تكن من الغافلين. وإن لفظ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُم﴾ قد أتى هنا على وجهٍ آخر.. أعني بمعنى "ينصركم"، كما لا يخفى على العارفين.

فحاصل الكلام أن الله كان قد قدّر للإسلام العزّتين بعد الذلّتين على رغم اليهود الذين كان قدّر لهم الذلّتين بعد العزّتين نكالاً من عنده، كما تقرأون في سورة بني إسرائيل قصةَ الفاسقين منهم والظالمين. فلمّا أصاب المسلمين الذلّةُ الأولى في مكّة وعَدهم الله بقوله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٣٨]، وأشار في قوله ﴿عَلَى نَصْرِهِمْ﴾ أنّ العذاب يصيب الكفّار بأيدي المؤمنين، فأنجزَ الله هذا الوعد يوم بدرٍ وقتَل الكافرين بسيوف المسلمين. ثم أخبر عن الذلّة الثانية بقوله ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ -يعني يكون لهم الغلبة والفتح لا يدانِ بهم لأحد- ﴿وَهُمْ

[٣٨] - الحج: ٤٠

مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[٣٩]، ...﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾[٤٠].[٤١] والمراد من ﴿كُلِّ حَدَبٍ﴾ ظَفَرُهم وفوزُهم بكل مراد، وعروجُهم إلى كل مقام، وكونُهم فوق كل رياسة قاهرين. والمراد من قوله ﴿بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أن نار الخصومات تستوقد في ذلك الزمان في كل فرقة من فرق أهل الأديان، وينفقون الذهب والفضّة كالجبال لتكذيب الإسلام والإبطال وارتداد المسلمين، ويؤلّفون كتبًا مملوّة من التوهين. وقد أشار الله في كثير من المقام أن تلك الأيام أيام الغربة للإسلام، وهناك يكون المسلمون كالمحصورين، وتهبّ عليهم عواصفُ التفرقة فيكونون كعضِين. فأمّا قوله ﴿بَعْضهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ فيريد منه أن فِرقة تأكل فِرقة أخرى، وتعلُو يأجوج ومأجوج وتسمعون أخبار خروجهم في الأرضين، وفي تلك الأيام لا يكون الإسلام إلا كعَجوزةٍ، ولا يبقى له من قوة ولا من عزّة، وتصيبه ذلّة على ذلّة، وكاد أن يُقبَر مِن غير التجهيز

[٣٩] – *الأنبياء:٩٦*

[٤٠] – *الكهف: ١٠٠*

[٤١] – الحاشية: قد أشار الله في آيات بعد هذه الآية من غير فصل إلى أن يأجوج ومأجوج هم النصارى، ألا ترى قوله ﴿أَفَحَسبَ الَّذينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخذُوا عبَادي منْ دُوني أَوْليَآءَ﴾، وكذلك قوله ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرينَ أَعْمَالاً * الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الْحَيَاة الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسنُونَ صُنْعًا﴾، وكذلك قوله ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مدَادًا لكَلمَات رَبِّي﴾؟ ولا شك أن النصارى قوم اتخذوا المسيح معبودا من دون الله، وتمايلوا على الدنيا وسبقوا غيرهم في إيجاد صنائعها، وقالوا إن المسيح هو كلمة الله، والمخلوقُ كلُّه مِن هذه الكلمة، فهذه الآيات ردٌّ عليهم. منه

والتكفين، وتُصَبّ عليه مصائب ما سمعتْ أذنٌ مثلها من قبل، ويخرج من الدين أفواج من الجاهلين، لاعنين ومحقِّرين ومكذِّبين، وتُقلَب الأمور كلها، وتنــزل المصائب على الشريعة وأهلها، ويُرَدّ قمرها كعُرجونٍ قديم في أعين الناظرين، وهذه ذلّة ما أصابت الملّة من قبل، ولن تصيب إلى يوم الدين. فعند ذلك تنــزل النصرةُ من السماء ومَعالِمُ العزّة من حضرة الكبرياء، مِن غير سيف وسنان ومحاربين[٤٢]. وإليه إشارة في قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[٤٣]، وهو مرادٌ مِن بعث المسيح الموعود يا معشر العاقلين[٤٤].

---

[٤٢] - الحاشية: إن عيسى بن مريم ما قاتلَ وما أمر بالقتال، فكذلك المسيح الموعود فإنه على نموذجه من الله ذي الجلال. والسرّ فيه أن الله أراد أن يرسل خاتمَ خلفاء بني إسرائيل وخاتمَ خلفاء الإسلام مِن غير السنان والحُسام، ليزيل شبهاتٍ نشَأتْ من قبلُ في طبائع العوام، وليعلم الناسُ أن إشاعة الدين بأمر مِن الله لا بضربِ الأعناق وقتل الأقوام. ثم لما كان اليهودُ في وقت عيسى والمسلمون في وقت المسيح الموعود قد خرج أكثرُهم من التقوى وعصوا أحكام الرب الودود، فكان بعيدًا من الحكمة الإلهية أن يقتل الكافرين لهذه الفاسقين. فتدبَّرْ حق التدبّر ولا تكنْ من الغافلين. منه

[٤٣] - *الكهف: ١٠٠*

[٤٤] - الحاشية: وكذلك أُشير إلى المسيح الموعود في الكتاب الكريم.. أعني في سورة التحريم، وهو قوله تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن روحِنَا﴾. ولا شك أن المراد من الروح ههنا عيسى ابن مريم، فحاصل الآية أن الله وعد أنه يجعل أخشى الناس من هذه الأُمّة مسيحَ ابن مريم، وينفخ فيه روحه بطريق البروز، فهذه وعد من الله في صورة المثل لأَتْقَى الناس من المسلمين. فانظرْ كيف سَمَّى الله بعض أفراد هذه الأُمّة عيسى ابن مريم، ولا تكن من الجاهلين. منه

وفي لفظ النـــزول الذي جاء في الأحاديث إيماءٌ إلى أن الأمر والنصر ينـــزل كله من السماء في أيام المسيح مِن غير توسُّل أيدي الإنسان ومِن غير جهاد المجاهدين، وينـــزل الأمر مِن الفوق مِن غير تدبير المدبّرين، كأن المسيح ينـــزل كالمطر من السماء واضعا يديه على أجنحة الملائكة لا على أجنحة حيلِ الدنيا والتدابير الإنسانية، وتبلُغ دعوتُه وحجّته إلى أقطار الأرض بأسرعِ أوقاتٍ كبرق يبدو من جهة فإذا هي مشرقة في جهات. فكذلك يكون في هذا الزمان، فليسمعْ من يكن له أُذُنان، ويُنفَخُ في الصُّور لإشاعة النور وينادَى الطبائعُ السليمة للاهتداء، فيجتمع فِرقُ الشرق والغرب والشمال والجنوب بأمرٍ من حضرة الكبرياء، فهناك تستيقظ القلوب وتَنبت الحبوب بهذا الماء، لا بنار الحرب وسفك الدماء، ويُجذَب الناسُ بجذبة سماوية مطهّرة من شوائب الأرض لِما هو نموذج ليوم القضاء مِن مالك يوم الدين. وقد وعد الله عند الفتنة العظمى في آخر الزمان، والبليّة الكبرى قبل يوم الديّان، أنه ينصر دينه من عنده في تلك الأيام، وهناك يكون الإسلام كالبدر التام، وإليه أشار الله سبحانه في قوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾. وقد أخبر في آية هي قبل هذه الآية مِن تفرقة عظيمة بقوله ﴿تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، ثم بشَّر بقوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ بجمعٍ بعد التفرقة، فلا يكون هذا الجمع إلا في مائة البدر، ليدلّ الصورةُ على معناها كما كانت النصرة الأولى ببدر.

فهاتان بشارتان للمؤمنين، وتبرُقان كدُرّةٍ في الكتاب المبين. وقد مضى وقتُ فتح مبين في زمن نبيّنا المصطفى، وبقي فتحٌ آخر وهو أعظم وأكبر

وأظهر من غلبة أولى، وقُدّر أن وقته وقت المسيح الموعود من الله الرءوف الودود وأرحم الراحمين، وإليه أشار في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَولَهُ﴾[٤٥]، ففَكِّرْ في هذه الآية ولا تمرّ كالغافلين. وإن في لفظ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ولفظ ﴿الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ الذي جُعِل مِن وصْفِه جملةُ ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ إشارةً لطيفة للمتفكّرين، وهو أن لفظ ﴿الْحَرَامِ﴾ يدل على أن الكافرين قد حُرّم عليهم في زمن النبي ﷺ أن يضرّوا الدين بالمكائد أو يأتوه كالصائد، وعصَم الله نبيّه ودينه وبيته من صوْل الصائلين وجور الجائرين، وما استأصل الله في ذلك الزمن أعداء الدين حق الاستيصال، ولكن حفِظ الدين من صَولهم وحرّم عليهم أن يغلبوا عند القتال. فبُدِئَ أمرُ تأييد الدين من المسجد الحرام أعني مِن ذَبِّ اللئام، ثم يتمّ هذا الأمر على المسجد الأقصى الذي يبلغ فيه نور الدين إلى أقصى المقام كالبدر التام، ويلزَمه كلُّ بركة يُتوقَّع ويُتصوَّر عند كمالٍ ليس فوقه كمال، وهذا وعدٌ من الله العلاّم. فكان المسجد الحرام يُبشّر بدفع الشر والحفظ من المكروهات، وأما المسجد الأقصى فيشير مفهومه إلى تحصيل الخيرات وأنواع البركات والوصول إلى أعلى الترقّيات، فبُدِئَ أمرُ ديننا مِن دفع الضير، ويتم على استكمال الخير، وإن فيه آيات للمتدبّرين.

[٤٥] – الإسراء:٢

ثم إن آية الإسراء تدل على نُكتة وجَب ذكرُها للأصدقاء ليزدادوا عِلمًا ويقينا، وإن خير الأموال العلم واليقين. وهو أن الإسراء من حيث الزمان كان واجبًا كوجوب الإسراء من حيث المكان، ليتمّ سيرُ نبيِّنا زمانًا ومكانا، وليكمُلَ أمرُ معراج خاتم النبيين. ولا شك أن أقصى الزمان للمعراج الزماني هو زمان المسيح الموعود، وهو زمانُ كمال البركات ويقبَله كلٌّ مؤمن من غير الجحود. ولا شك أن مسجد المسيح الموعود هو أقصى المساجد من حيث الزمان من المسجد الحرام، وقد مُلِئَ مِن كل جنب بركةً ونورًا كالبدر التام، ليكمُل به دائرة الدين، فإن الإسلام بُدِئَ كالهلال من المسجد الحرام، ثم صار قمرًا تامًّا عند بلوغه إلى المسجد الأقصى، ولذلك ظهر المسيح في عِدّة البدر إشارةً إلى هذا المقام.

ثم هنا دليل آخر على وجوب الإسراء الزماني من الأمر الربّاني، وهو أن الله تعالى قد أشار في قوله ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ إلى أن جماعة المسيح الموعود عند الله من الصحابة مِن غير فرْقٍ في التسمية، ولا يتحقق هذه المرتبةُ لهم مِن غير أن يكون النبي ﷺ بينهم بقوته القدسية والإفاضة الروحانية كما كان في الصحابة، أعني بواسطة المسيح الموعود الذي هو مظهرٌ له أو كالحُلّة. فقد ثبت من هذا النصّ الصريح من الصحف المطهّرة أن معراج نبيّنا كما كان مكانيًّا كذلك كان زمانيًّا، ولا يُنكره إلا الذي فقد بصره وصار من العمين. ولا شك ولا ريب أن المعراج الزماني كان واجبًا تحقيقًا لمفهوم هذه الآية، ولو لم يكن لبطُل مفهومها كما لا يخفى على أهل الفكر والدراية.

فثبت من هذا أن المسيح الموعود مظهرٌ للحقيقة المحمّدية، ونازل في الحُلل الجلالية، فلذلك عُدَّ ظهوره عند الله ظهورَ نبيّه المصطفى، وعُدَّ زمانه منتهى المعراج الزماني للرسول المجتبى، ومنتهى تَجلِّي روحانيةِ سيدِنا خير الورى، وكان هذا وعدًا مؤكّدًا من رب العالمين.

ولما كان المسيح الموعود لوجود نبيّنا كالمرآة ومُتمِّمَ أمرِه بإشاعة البركات، وإظهارِ الإسلام على الأديان كلها بالآيات، شكَر النبيُّ ﷺ سعيه كشكر الآباء للأبناء، وأوصى لِيُقرَأَ سلامُه عليه إشارةً إلى السلامة والعلاء. ولو كان المراد من المسيح عيسى ابنَ مريم الذي أُنزلَ عليه الإنجيل، لفسد وصيّةُ تبليغ السلام وما كان إليها السبيل، فإن عيسى عليه السلام إذا نزل بقولكم من السماء فلا شك أنه كان يعرفه رسولُنا كالأحبّاء، بل كان يسلِّم بعضُهما على البعض عند اللقاء، فيكون عند ذلك إيداعُ أمانةِ السلام لغوًا وعبثًا كالاستهزاء، لِما هو وقَع في السماء مرارا وكان معلومًا قبل الإعلام والإدراء. ثم من المعلوم أنه عليه السلام قد لقيَ عيسى ليلةَ المعراج وسلّم عليه، فلا شك أنه ما أوصى إلا لرجل كان لم يَرَه واشتاق إليه. وما معنى وصيّةِ السلام لرجل رآه رسول الله ﷺ غيرَ مرّة قبل الوفاة وبعد الوفاة، وسلَّم عليه ليلة المعراج وما فارقَه بعد الموت في وقت من الأوقات؟ أكان هذا الأمر غيرَ ممكن إلا بواسطة بعض أفراد الأمّة؟ ففكِّرْ إن كنتَ ما مَسَّك طائفٌ من الجِنَّة. أما ترى أن النبيّ ﷺ لما مات تيسّرَ له لقاءُ عيسى في كل حين من الأحيان، وقد رأى عيسى ليلة الإسراء، فكانت أبواب السلام مفتوحةً مِن

غيرِ توسُّطِ أبناء هذا الزمان، فلا تجعلْ سلامَ رسول الله لغوًا، وأمعِنْ حقّ الإمعان. ربِّ بلّغْه سلاما منّا، وإنّ هذا خاتمة البيان.

تـــــمّـــــت

القصيدة لكل قريحة سعيدة

أرى سيلَ آفات قضاها المقــدِّرُ وفي الخَلْق سَيَّات تُذاع وتُنـــشَرُ
وفي كلّ طرف نارُ شرٍّ تأجّجتْ وفي كلّ قلب قد تَراءَى التحجُّرُ
وقد زُلزلتْ مِن هذه الريح دَوحةٌ تُظِلُّ بظـــلٍّ ذي شفاءٍ وتُثـــمرُ
أرى كلَّ محجوبٍ لدنياه باكيًا فمَن ذا الذي يبكي لدينٍ يُحقَّرُ
وللدين أطلالٌ أَراها كلاهفٍ ودمعي بذكرِ قُصوره يتحَدَّرُ
تراءتْ غواياتٌ كريحٍ مُجيحةٍ وأرخَى سديلَ الغيِّ ليلٌ مُكدِّرُ
أرى ظلماتٍ ليتني مِتُّ قبلها وذقتُ كؤوسَ الموت أو كنت أُنصَرُ
تهبّ رياحٌ عاصفات كأنها سِباعٌ بأرض الهند تعوي وتَزْأَرُ
أرى الفاسقين المفسدين وزُمْرَهم وقلَّ صلاحُ الناس والغيُّ يكثُرُ
أرى عينَ دين الله منهم تكدَّرتْ بها العِينُ والآرامُ تمشي وتَعبُرُ
أرى الدين كالمرضى على الأرض راغمًا وكلّ جهولٍ في الهوى يَتبَخْتَرُ
وما هَمُّهم إلا لحظٍّ نفوســـهم وما جهدُهم إلا لعـــيشٍ يُوفَّرُ
نسُوا نَهْجَ دين الله خبثًا وغفلةً وقد سَرَّهم بَغْيٌ وفسق ومَيسِرُ
فلما طغى الفسق المبـــيدُ بسيله تمَنَّـــيتُ لو كان الوباءُ المتبِّـــرُ
فإنّ هلاك الناس عند أولي النهى أحَبُّ وأَولى مِن ضلال يُدمِّـــرُ
صبرْنا على ظلم الخلائق كلِّهم ولكنْ على سيل الشَّقا لا نصبرُ
وقد ذاب قلبي مِن مصائب ديننا وأعلَمُ ما لا تعلمـــون وأُبصِـــرُ
وبثِّي وحزني قد تجـــاوزَ حدَّه ولولا مِن الرحمـــن فضلٌ أُتبَّـــرُ
وعندي دموع قد طلعنَ المآقيا وعندي صراخٌ لا يراه المكفِّرُ

وَلِي دعواتٌ يَصعَدَنَّ إلى السما ولي كلماتٌ في الصَّـــلاية تَقعَرُ
وأُعطيتُ تأثيرًا من الله خالقي فتأوي إلى قولي جَنانٌ مطـــهَّرُ
وإنّ جَناني جاذبٌ بصفـــائه وإن بياني في الصخـــور يؤثِّـــرُ
حفَرتُ جبالَ النفس مِن قوة العُلى فصار فؤادي مثلَ نهرٍ تفجّرُ
وأُعطيتُ رعبًا عند صَمْتي من السما وقولي سِنانٌ أو حُسامٌ مُشهَّرُ
فهذا هو الأمر الذي سَرَّ مالكي وأرسلَني صدقًا وحقًّا فأُنذِرُ
إذا كذَّبتْـــني زُمْرُ أعداءِ ملّتي فقلتُ اخْسَأُوا إنّ الخفايا ستَظهَرُ
فريقٌ من الأحرار لا يُنكِرونني وحزب من الأشرار آذَوا وأنكرُوا
وقد زاحموا في كلّ أمرٍ أردْتُه فأيَّدني ربي ففَــرُّوا وأدبرُوا
وكيف عصَوا، واللهِ لم يُدْرَ سِرُّها وكان سنا صدقي من الشمس أظهَرُ
لزِمتُ اصطبارًا عند جَورِ لئامِهم وكان الأقارب كالعقارب تأبُرُ
وهذا على الإسلام إحدى المصائبِ يُكذَّب مثلي بالهوى ويُكفَّرُ
فأقسمتُ بالله الذي جلَّ شأنُهُ على أنه يُخزِي العِـــدا وأُعزَّرُ
ولِلْغَـــيِّ آثارٌ وللرشد مثلُها فقُوموا لتفتيش العلامات وانظُروا
تظنّون أني قد تقـــوَّلتُ عامِدًا بمكرٍ وبعضُ الظنّ إثمٌ ومُنكَرُ
وكيف وإنّ الله أبـــدَى براءتي وجـــاء بآيات تلُوح وتَظـــهَرُ
ويأتيك وعدُ الله مِن حيث لا ترى فتعـــرِفه عينٌ تَحِـــدُّ وتُبـــصِرُ
وليس لعَضْبِ الحق في الدهر كاسرًا ومَن قام للتكسير بخلاً فيُكـــسَرُ
ومَـــن ذا يعاديني وربّي يحبّني ومَن ذا يُراديني إذا اللهُ ينصُـــرُ
ويعلَم ربي سِرَّ قلبي وسِرَّهم وكلُّ خفيّ عنـــده مُتحضِّـــرُ
ولو كنتُ مردودَ المليك لضَرَّني عـــداوةُ قوم كذّبوني وحقَّروا

ولكنني صافَيتُ ربّي فجاءني … من الله آياتٌ كمــا أنت تنظُرُ
وما كان جَوْرُ الخَلْق مستحدَثًا لنا … فإنّ أذاهم سنّــةٌ لا تُغـــيَّرُ
إذا قيل إنك مرسَلٌ خِلتُ أنني … دُعيتُ إلى أمرٍ على الخَلْق يَعسرُ
أمُكْفِرِ مَهْلاً بعضَ هذا التحكُّمِ … وخَفْ قَهْرَ ربٍّ قال ﴿لا تَقْفُ﴾ فَاحْذَرُ
وإذ قلتُ إني مسلم قلتَ كافرٌ … فأين التُّــقى يا أيهــا المتـــهوِّرُ
وإنْ كنتَ لا تخشى فقُلْ لستَ مؤمنا … ويأتي زمــانٌ تُســأَلَنَّ وتُخبَرُ
وإني تركتُ النفسَ والخَلْقَ والهوى … فلا السبُّ يؤذيني ولا المدح يُبطِرُ
وكمْ مِن عدوٍّ بعدما أكملَ الأذى … أتاني فلم أُصْعِرْ وما كنتُ أُصْعِرُ
أرى الظلمَ يبقى في الخراطيم وَسْمُهُ … وأما علامــات الأذى فتُــغيَّرُ
ووالله إني قــد تبعتُ محــمدًا … وفي كل آنٍ مِن سنــاه أُنــوَّرُ
عجبتُ لأعمَى لا يداوي عيونَهُ … ومنّا بجَوْرِ الجهل يلوي ويَسخَرُ
أتنسى نجاساتٍ رضِيتَ بأكلها … وتَهــمِزُ هــتانًا بَرِيًّا وتــذكُرُ
إذا قَلَّ عِلم المرء قَلَّ اتقاؤه … فيسعى إلى طرق الشقا ويزوِّرُ
وما أنا ممن يمنَع السيفُ قصدَه … فكيف يخــوّفني بشتمٍ مكــفِّرُ
لنا كلَّ يوم نصــرةٌ بعد نصرةٍ … فمُتْ أيهــا الناري بنارٍ تُسعِّرُ
وُعِدْنا من الرحمن عزًّا وسُؤْددًا … فقُمْ وَامْحُ هذا النقش إنْ كنتَ تقدِرُ
ألا إنما الأيام رجَعتْ إلى الهدى … هنيئًا لكم بعثي فبَشُّوا وأَبْشِروا
دَعُوا غيرَ أمرِ الله واسعوا لأمرهِ … هو الله مولانا أَطيعوه واحضُروا
ألا ليس غيرُ الله في الدهر باقيًا … وكلُّ جليس ما خلا اللهَ يهجُرُ

تـــــمّـــــتْ

حاشية متعلقة بالخطبة الإلهامية

ما الفرق بين آدم والمسيح الموعود؟

إن الله خلق آدم لينقل الناسَ من العدم إلى الوجود، ومن الوحدة إلى الكثرة، وجعَلهم شعوبًا وقبائلَ وفِرقا وطوائف ليُري ألوانَ القدرة، ولِيَبلُوَ أيُّهم أحسنُ عملا ومن السابقين. وجعل آدمَ مظهرًا لاسمه الذي هو مبدأٌ للعالم.. أعني الأوّل كما جاء قوله ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾[٤٦] في الكتاب المبين. ولأجل أن الأوّلية تقتضي ما بعدها اقتضتْ نفسُ آدم رجالا كثيرا ونساءً، فنــزَل الأمر وأضنَأَت النساءُ وكثُر الناس ومُلئت الأرض من المخلوقين. ثم طال عليهم الأمد وكثرت فِرقهم وآراؤهم، وتخالفتْ أمانيهم وأهواؤهم، وكان أكثرهم فاسقين. فطفقوا يصول بعضهم على بعض، وزادوا فسقًا وطغوى، وأرادوا أن يأكل قويّهم ضعيفهم كدودة تأكل دودة أخرى وكانوا غافلين. حتى إذا اجتمعت فيهم كل ضلالة كانت من لوازمِ زمنِ المسيح الموعود، وصُبّتْ على الإسلام كل مصيبة وصار كالحيّ الموءود، وبلغت الأيامُ منتهاها وصارت كالليالي في الظلمات، واقتضى الزمان حربًا هي آخر المحاربات[٤٧]،

---

[٤٦] - *الحديد: ٤*

[٤٧] - الحاشية: كان الله قد قدَّر من الأزل أن تقع الحرب الشديد مرّتين بين الشيطان والإنسان، مرّة في أوّل الزمن ومرّة في آخر الزمان. فلمّا جاء وعدُ أُولاهما أغوى الشيطانُ الذي هو ثعبان قديم حوّاءَ، وأخرج آدمَ من الجنة ونال إبليسُ مرادًا شاء،

فهناك أرسل الله مسيحه لهذه الحرب، ليجلو غياهبَ الكفر ويدمّر الظالمين بالحجة لا بالطعن والضرب، ويقطع دابر الكافرين، وليرجع الناس إلى الاتّحاد والمَحْوِيّة بعدما كانوا متخالفين. فثبت من هذا المقام أن المسيح الموعود قد قابلَ آدم في هذه الصفات كضدٍّ تَقابلَ ضدًّا آخر في الخواص والتأثيرات، وإن في ذلك لآية للمتقين.

ثم اعلم أن هذا التضادّ بين آدم والمسيح الموعود ليس مخفيا ومن النظريات، بل هو أظهرُ الأشياء ومن أجلى البديهيات. فإن آدم أتى ليخرج النفوسَ إلى هذه الحياة الدنيا وليوقد بينهم نارَ الاختلاف والمعاداة، وأتى مسيحُ الأممِ ليرُدّهم إلى دار الفناء، ويرفع مِن بينهم الاختلاف والتشاجر والشحناء، وأصلَ التفرقة والشتات، ويجرّهم إلى الاتحاد والمحويّة ونفيِ الغير والمصافاة. وإن المسيح مَظهرٌ لاسم الله الذي هو خاتم سلسلة المخلوقات، أعني "الآخِر" الذي أُشِير إليه في قوله تعالى هُوَ ﴿الآخِرُ﴾ لِما هو علامة لمنتهى الكائنات، فلأجل ذلك اقتضتْ نفسُ المسيح خَتْمَ سلسلة الكثرة بالممات، أو بِرَدِّ

وكان من الغالبين. ولما جاء وعد الآخرة أراد الله أن يردّ لآدم الكَرّةَ على إبليس وفوْجِهِ ويقتل هذا الدجّال بحربة منه، فخلق المسيحَ الموعود الذي هو آدم بمعنى، ليدمّر هذا الثعبان ويُتَبِّر ما علا تتبيرا. فكان مجيء المسيح واجبا ليكون الفتح لآدم في آخر الأمر، وكان وعدًا مفعولا. وقد أشار الله سبحانه إلى هذا الفتح العظيم وقتلِ الدجّال القديم الذي هو الشيطان في قوله ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾، يعني لا يقع أمر استيصالك التام وتتبير ما علوتَ من أنواع الشرك والكفر والفسق إلا في آخر الزمن ووقتِ المسيح الإمام. فافهمْ إن كنتَ من العاقلين. منه

المذاهبِ إلى دين فيه موتُ النفوس من الأهواء والإراداتِ، والإسلاكُ على الشريعة الفطرية التي تجري تحت المصالح الإلهيّة وتخليصُ الناس من ميل النفس بهواها إلى العفو والانتقام والمحبّة والمعاداة. فإن الشريعة الفطرية التي تستخدم قوى الإنسان كلها لا ترضى بأن تكون خادمةً لقوّة واحدة، ولا تقيِّد أخلاق الإنسان في دائرة العفو فقط، ولا في دائرة الانتقام فقط، بل تحسبه سجيّةً غيرَ مرضية، وتؤتي كلَّ قوة حقَّها عند مصلحة داعية وضرورة مقتضية، وتُغيِّر حكمَ العفو والانتقام والمصافاة والمعاداة بحسب تغيّرات المصالح الوقتية. وهذا هو الموت من النفس والهوى والجذبات النفسانية ودخولٌ في الفانين.

فحاصل الكلام أن المسيح الموعود ينقل الناسَ من الوجود إلى العدم، ويذكّرهم أيامَ البيت المنهدم، وينقلهم إلى مثوى الميّتين.. إما بالإماتة الجسمانية بأنواع الأسباب من الحوادث السماوية والأرضية، وإما بإماتة النفس الأمّارة والموتِ الذي يَرِدُ على أهل النشأة الثانية بإخراج بقايا الغَيْريّة وغياهب النفسانية وتكميل مراتب المَحْوِيّة، وإن فيه لهدًى للمتفكّرين.

ثم اعلم أن المسيح الموعود في كتاب الله ليس هو عيسى ابن مريم صاحب الإنجيل وخادم الشريعة الموسوية، كما ظنَّ بعض الجهلاء من الفَيج الأعوج والفئة الخاطئة، بل هو خاتمُ الخلفاء من هذه الأُمّة، كما كان عيسى خاتمَ خلفاء السلسلة الكليمية، وكان لها كآخرِ اللَّبِنة وخاتمِ المرسلين. وإنّ هذا لهو الحق، فويل للذين يقرأون القرآن ثم يمرّون منكرين. وإن الفرقان قد حكم بين المتنازعين في هذه المسألة، فإنه صرّح في سورة النور بقوله ﴿مِنْكُمْ﴾ بأن

خاتم الأئمّة من هذه الملّة، وكذلك صرح هذا الأمرَ في سورة التحريم والبقرة والفاتحة، فأين تفرّون من النصوص القطعية البيّنة؟ وهل بعد القرآن حاجة إلى دليل لذوي الفطنة؟ فبأي حديث تؤمنون بعد هذه الصحف المطهَّرة؟ وقد وعد الله المؤمنين في سورة التحريم في قوله ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أن يخلق ابنَ مريم منهم، وهو يرِث هذا الاسمَ ويكون عيسى مِن غير فرقٍ في الماهية. فقد تقررَ في هذه الآية وعدًا من الله أن فردًا من هذه الأمّة يسمَّى ابنَ مريم ويُنفَخ فيه روحه بعد التقاة التامة. فأنا ذلك المسيح الذي لُمْتُموني فيه، ولا مبدِّلَ لكلمات الله ذي الجبروت والعزة. أتجعلون رِزقكم مِن وعد الله أن تكونوا يهودا كيهودِ أمّة موسى في الخبث والتمرّد العظيم، ولا تريدون أن يكون المسيح منكم كمسيح سلسلة الكليم؟ ويحَكم، إنكم رضيتم بمماثلة الشر والضير، ولا ترضون أن تكون لكم مماثلة في الخير. فوالله لا يفعل عدوّ بعدوّ ما تفعلون بأنفسكم، وقد نبذتم كلام الله وراء ظهوركم، وذكّرْنا فتناسيتم، وأرينا فتعاميتم، ودعونا فأبيتم، واتّبَعتم أَمّارتَكم في كل ما مارَيتم، يا حزبَ العدا. أتُترَكون سُدًى؟ أو يُغفَر لكم كلٌّ ما اجترحتم من الهوى؟ ما لكم لا تفكّرون في القرآن، ولا ترون ما قال ربكم بأحسن البيان؟ ألم يكفِ لكم آيةُ سورة التحريم، أو أعرضتم عن كلام الله الكريم؟ انظروا كيف ضرب الله مثلَ مريم لهذه الأمّة في هذه السورة، ووعَد في هذه الحُلّة أن ابن مريم منكم عند التقاة الكاملة. وكان من الواجب لتحقيق هذا المَثل المذكور في هذه الآية بأن يكون فرد من هذه الأمّة عيسى ابنَ مريم ليتحقق المثل في الخارج من غير الشك والشبهة، وإلا فيكون هذا المثل عبثًا وكذبا ليس

مِصداقه فردٌ من أفراد هذه الملّة، وذلك مما لا يليق بشأن حضرة التقدّس والعزّة. هذا هو الحق الذي قال الله ذو الجلال، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وأما عيسى الذي هو صاحب الإنجيل، فقد مات وشهد عليه ربّنا في كتابه الجليل، وما كان له أن يعود إلى الدنيا ويكون خاتم الأنبياء، وقد خُتِمت النبوة على نبيّنا ﷺ، فلا نبيَّ بعده إلا الذي نُوِّرَ بنوره وجُعل وارثَه من حضرة الكبرياء. اعلموا أن الختمية أُعطيتْ من الأزل لمحمد ﷺ، ثم أُعطيتْ لمن علَّمه روحُه وجعَله ظلَّه، فتباركَ مَن علّم وتعلّم[٤٨]. فإن الختمية الحقيقية كانت مقدَّرة في الألف السادس الذي هو يوم سادس من أيام الرحمن، ليشابه أبا البشر مَن كان هو خاتمَ نوعِ الإنسان. واقتضت مصالح أخرى أن يُبعث رسولنا في اليوم الخامس.. أعني في الألف الخامس بعد آدم، لِما كان اليوم الخامس يومَ اجتماعِ العالَم الكبير، وهو ظِلٌّ لآدم الذي أعزّه الله وأكرمَ، فإن آدم جمَع في نفسه كلَّ ما تفرّقَ فيه ووصل كلَّ ما تجذَّمَ، فلا شك أن العالَم الكبير قد نزل بمنـــزلةِ خِلقةٍ أُولى لآدم في صُوَرٍ متنوّعة، فقد خُلِق آدم بهذا المعنى في اليوم الخامس من غير شك وشبهة، ثم أراد الله أن

٤٨ - الحاشية: هذه إشارة إلى وحي من الله كُتبَ في "البراهين الأحمدية"، وقد مضى عليه أزيدُ من عشرين سنة من المدة. فإن الله كان أوحَى إليّ وقال: "كُلُّ بَرَكَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَتَبَارَكَ مَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمْ"، يعني أن النبي ﷺ علَّمك من تأثير روحانيته وأفاض إناءِ قلبك بفيض رحمته، ليُدخلك في صحابته، وليُشركك في بركته، وليُتمّ نبأ الله ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ بفضله ومنّته. ولمّا كان هذا النبأ الأصلَ المحكم والبرهان الأعظم على دعواي في القرآن.. أشار الله سبحانه إليه في "البراهين" ليكون ذِكرُه هذا حجّة على الأعداء مِن جهة طول الزمان. منه

يُنشِئَ نبيَّنا الذي هو آدم خلقًا آخر في الألف السادس بعد خِلقته الأولى، كما أنشأ مِن قبل صفيَّه آدمَ في آخر اليوم السادس مِن أيامِ بُدُوِّ الفطرةِ ليتمّ المشابهة في الأولى والأخرى، وهو يوم الجمعة الحقيقية، وكان جمعةُ آدم ظلاًّ له عند أولي النُّهَى، فاتّخذَ على طريق البروز مظهرًا له مِن أمّته، وهو له كالعين في اسمه وماهيّته، وخلَقه الله في اليوم السادس بحساب أيامِ بُدُوِّ نشأةِ الدنيا لتكميل مماثلته.. أعني في آخر الألف السادس ليشابه آدمَ في يوم خلقته، وهو الجمعة حقيقةً، لأن الله قدّر أنه يجمع الفِرق المتفرّقة في هذا اليوم جمعًا برحمةٍ كاملة، ويُنفَخ في الصور.. يعني يتجلّى الله لجمعهم فإذا هم مجتمعون على ملّة واحدة إلا الذين شقُوا بمشيّة وحبَسهم سجنُ شِقوة، وإليه أشار سبحانه في قوله ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُم﴾ في سورة الجمعة، إيماءً إلى يوم الجمعة الحقيقية. وأراد من هذا القول أن المسيح الموعود الذي يأتي من بعد خاتم الأنبياء هو محمد ﷺ من حيث المضاهاة التامة، ورفقاؤه كالصحابة، وأنه هو عيسى الموعود لهذه الأمّة، وعدًا من الله ذي العزّة في سورة التحريم والنور والفاتحة.. قولَ الحق الذي فيه يمترون. ما كان لنبي أن يأتي بعد خاتم الأنبياء إلا الذي جُعل وارثَه مِن أُمّته، وأُعطيَ مِن اسمه وهويّته، ويعلمه العالمون. فذلك مسيحكم الذي تنظرون إليه ولا تعرفونه، وإلى السماء أعينَكم ترفعون. أتظنّون أن يردّ الله عيسى ابن مريم إلى الدنيا بعد موته وبعد خاتم النبيين؟ هيهات هيهات لما تظنون! وقد وعد الله أنه يُمسِك النفسَ التي قضى عليها الموت، والله لا يخلف وعده، ولكنكم قوم تجهلون. أتزعمون أنه يُرسِل عيسى إلى الدنيا، ويوحي إليه إلى أربعين سنة، ويجعله خاتم الأنبياء

وينسى قوله ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[٤٩]؟ سبحانه وتعالى عما تصِفون! إنْ تتّبعون إلا ألفاظًا لا تعلمون حقيقتها، ولو رددتموها إلى حَكَمٍ من الله الذي أُرسلَ إليكم لكان خيرًا لكم إن كنتم تعلمون.

يا حسرة عليكم! إنكم جعلتم عِلم الدين سَمْرًا، وتجادلون عليه بُخلاً وحسدًا، وطبَع الله على قلوبكم فلا تبصرون. ألا ترون إلى السلسلتين المتقابلتين، أو غلبتْكم شِقوتكم فلا توانسون؟ وتقولون ليس ذِكْرُ المسيح الموعود في القرآن، وقد مُلئ القرآن مِن ذكره ولكن لا يراه العمون. ألا إن لعنة الله على الكاذبين الذين يكذّبون كتاب الله ويحرّفونه ولا يخافون. وإذا قيل لهم تعالوا نبيّن لكم حُجج الله قالوا إنّا نحن المهتدون. وما في أيديهم إلا قصص باطلة ولا يتّقون. ويسخرون من الذين آمنوا وهم يعلمون. وما كان مجيئي في آخر السلسلة المحمدية إلا لإكمال المماثلة ولتوفية وزن المقابلة، وليُرَدَّ الكَرّةُ لآدم بعد الكَرَّة الشيطانية[٥٠]، فما لهم لا يتفكّرون؟! أكان عسيرا على الله أن يخلق كعيسى ابن مريم عيسى آخرَ، ﴿سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. هو الله الذي بعث مثيلَ موسى في أوّل السلسلة

---

[٤٩] - *الأحزاب: ٤١*

[٥٠] - الحاشية: إن الله خلق آدم وجعله سيّدًا وحاكما وأميرا على كل ذي روح من الإنس والجانّ، كما يُفهَم من آية ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ﴾، ثم أَزَلَّه الشيطان وأخرجه من الجِنان، ورُدَّ الحكومةُ إلى هذا الثعبان، ومَسَّ آدمَ ذلّةٌ وخزيٌ في هذه الحرب والهوانُ. وإن الحرب سِجال وللأتقياء مآل عند الرحمن، فخلق الله المسيحَ الموعود ليجعل الهزيمة على الشيطان في آخر الزمان، وكان وعدًا مكتوبًا في القرآن. منه

المحمدية، فظهر منه أنه كان يريد أن يخلق مثلَ عيسى في آخرها ليتشابه السلسلتان بالمشابهة التامة، فما لكم لا تؤمنون؟

أيها الناس، آمِنوا أو لا تؤمنوا.. إن الله لن يترك هذه السلسلة حتى يُتمّها، ولن يترك حيّةَ آدم حتى يقتلها، فرُدُّوا ما أراد الله إن كنتم تقدرون. أتردُّون نعمة الله بعد نزولها أيها المحرومون؟ وقد تم وعد الله صدقا وحقا، فلا تشتروا الضلالة أيها الخاسرون. أتبخلون بما أنعم الله على عبد من عباده؟ أتُعجِزون الله بألسنكم وحِيلِكم ومكائدكم؟ فأَجْمِعوا كلّ مكركم، وادعوا الذين سبقوكم مكرًا وزورًا، واقعدوا في كل طريق ولا تُمهِلونِ. وستنظرون أن الله يخزيكم ويردّ عليكم كيدكم ولا تضرّونه شيئا ولا تُنصَرون.

أحسبتم أن إنسانا فعَل فعلاً مِن تلقاء نفسه؟ كلا.. بل هو الله الذي يُصلِح الأرض بعد فسادها، أليست الأرض مُنجَّسة من فساد، فما لكم لا تنظرون؟ إنكم تركتم الصراط، فترككم الله وذهب بنور قلوبكم، وكذلك يُجزَى المجرمون. أعجبتم أن جاءكم إمام من أنفسكم في آخر الأزمنة ليتساوى السلسلتان ككِفَّتَي الميزانِ، ما لكم كيف تعجبون؟ كذلك ليتمّ وعدُ الله في التحريم والنور والفاتحة والبقرة، ما لكم لا تفكّرون؟ وقد نزلت الآيات وحصحص الحق وظهرت البيّنات ثم أنتم تُعرِضون. وما طلبتم من حُجّة إلا أُعطيَ لكم فوج منها ثم لا تنتهون. ألا ترون إلى أرضكم كيف ينقُصها الله من أطرافها، والرقاب تحت قدمي هذه تتذلل، والناس مِن كل فَجٍّ يجتمعون؟ ولو كان هذا الأمر من عند غير الله لما لبثتُ فيكم إلى ثلاثين سنة بعد دعوتي كما أنتم تشاهدون. ولأُهلكتُ كما يُهلَك المفترون. أجئتُ شيئًا فرِيًّا وكنتم

من قبل تنتظرون؟ وقد ابتهلتم كل الابتهال، ليُهلِكني ربي كأهل الضلال، فأُعطيتْ لي بركةٌ على بركة، ولُعِنتْ كلماتُكم، وضُربتْ على وجوهكم دعواتُكم، فأصبحتم محقَّرين مهانين بما كنتم تُهينون. ما كان الله ليُهلِكني قبل أن يتمّ أمري، ولي سرٌّ بربّي لا يعلمه الملائكة، فكيف تعرفونني أيها الجاهلون الحاسدون؟ وليس لي مقامي عنده بظاهر الأعمال ولا بأقوال، ولا بعلم واستدلال، بل بسرٍّ في قلبي هو أثقل عنده من جبال. وإن سرّي يُحيِي الأموات، ويُنبِت المَوات، ويُرِي الآيات، فهل من طالب من ذوي الحصاة، وهل من قوم يطلبون؟ وإني جُعِلتُ من ربي آيةً للإسلام، وحُجّةً من الله العلاّم، فسوف يعلم المنكرون. أَسمِعْ بهم وأَبْصِرْ يومَ يأتونه، وقد أنفدوا الأعمار في هذه عميًا، ويُذكَّرون فلا يبالون.

وإني جئتُ لأنقُل الناس من الوجود إلى العدم بحكمِ ربّ العزّة[٥١]، وأُرِيَ الساعةَ قبل الساعة. وترون أن الأمراض تُشاع، والنفوس تُضاع، وسيذوق الناس موتًا هو موت من أهواء الغَيْرِيّة. وجئتُ لأنقل الناس من الكثرة إلى الوحدة، وإلى الاتّفاق من المخالفة، وإلى الاجتماع من التفرقة، ولذلك خُلِقَ أسبابُها، وفُتِح أبوابُها. ألا ترون إلى الطُرق كيف كُشفتْ؟ وإلى الوابورة كيف أُجريتْ؟ وإلى العِشار كيف عُطّلتْ؟ وإلى الأخبار كيف يُسِّرَ إيصالُها،

---

[٥١] – الحاشية: قد قلنا غير مرّة إن النقل من الوجود إلى العدم ليس بالسيف والسنان، بل بأمرٍ من الله الديّان، فإن الله كتب في كتبه أن علامة ظهور المسيح الموعود أن تسمعواً أخبار المحاربات في الآفاق والأقطار، وأخبار شيوع الوباء في الديار، ثم مِن علامة المسيح أنه يجذب الناس إلى كمال نقطة التقاة، وإنْ هو إلا نوع من الممات. منه

والخيالات تبادلتْ؟ وإلى النفوس كيف زُوّجتْ؟ وترون أن الناس يُنقَلون من هذه الدنيا إلى دار الفناء بمحاربات أوقدتْ نارها بين الملوك وبأنواع الوباء، ثم بإشاعة لُبِّ تعليم القرآن، وحقيقةِ كتاب الله الرحمن، الذي أُرسلتُ له في هذا الزمان، فإن هذا التعليم يدعو إلى الموت.. أعني إلى موتٍ يَرِدُ على النفس بترك الغَيريّة والهوى، ويدعو إلى مَحْوِيّةٍ في الشريعة الفطريّة وحالةٍ كحالةِ مَن مات وفنى، ويجرّ إلى تعطُّلٍ تامّ من حركات الاختيار، وموافقةٍ بالفتاوى التي تحصُل للقلب في كل حين من الله مُنــــزِّلِ الأقدار، وفي هذه الحالة يكون الإنسان مستهلكةَ الذات، غيرَ تابعٍ لأمر النفس والجذبات، حتى لا يُنسَب إليه سكون ولا حركة ولا ترك ولا بطش ويتعالى شأنه عن التغيرات، ولا يوجد فيه من القصد والإرادة أثر، ولا من المدح والمذمّة خبر، ويصير كالأموات. فهذا نوع من الموت، فإنه لا يملك أهلُ هذا الموت حركةً ولا سُكونا، ولا أَلَمًا ولا لذّة، ولا راحةً ولا تعبا، ولا محبّة ولا عداوة، ولا عفوًا ولا انتقاما، ولا بُخلاً ولا سخاوة، ولا جُبنًا ولا شجاعة، ولا غضبًا ولا تحنُّنا، بل هو ميّتٌ في أيدي الحيّ القيّوم، ما بقي فيه حركةٌ ولا هوى، ولا يُنسَب إليه شيء من هذه العوارض كما لا يُنسَب إلى الموتى. ولا شك أن هذه الحالة موت وإنها منتهى مراتب العبودية، والخروجِ من العيشة النفسانية، وإليها تنتهي سير الأولياء الذاهبين إلى الحضرة الأحدية. هذا تعليم القرآن، وكلُّ تعليمٍ دون ذلك في الجذب إلى الرحمن، وليس بعده مرتبة من مراتب السلوك والعرفان عند ذوي العقل والفكر والإمعان. وإن التوراة أمال الناسَ إلى الانتقام، وعنده لا مفرَّ للظالم ولا خلاصَ، وإن عيسى شرّع لأمّته

أنّ أحدهم إذا لُطِم في خدّه وضَع الخدّ الآخر لمن لطمه ولا يطلب القصاصَ. فلا شك أن هذين الحزبين لا يشاورون الشريعة الفِطريّة، ولا يتّبعون إلا الأوامر القانونية، وأما الرجل المحمدي فقد أُمر له أن يتّبع الشريعة الفطرية كما يتبع الشريعة القانونية، ولا يَقطَع أمرًا إلا بعد شهادة الشريعة الفطرية، ولذلك سُمِّيَ الإسلام دينَ الفطرة للزوم الفطرة لهذه الملّة، وإليه أشار نبيّنا ﷺ: "استَفْتِ قلبَك ولو أفتاك المُفتون". فانظرْ كيف رغَّب في الشريعة الفطرية و لم يَقنَع على ما قال العالمون. فالمسلم الكامل من يتّبع الشريعتين، وينظر بالعينين، فيُهدَى إلى الصراط ولا يخدعه الخادعون. ولذلك ذكر الله في محامد الإسلام أنه شريعة فطرية حيث قال ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[52]، وهذا من أعظم فضائل هذه الملّة ومناقبِ تلك الشريعة، فإنه يوجد في هذا التعليم مدار الأمر على القوة القُدسية القاضية الموجودة في النشأة الإنسانية المُوصِلة إلى كمال تام في مراتب المَحْوِيّة، فلا يبقى معها مَنْفَذ للتصرّفات النفسانية، لِما فيه عملٌ على الشهادة الفطرية. وأمّا التوراة والإنجيل فيتركان الإنسان إلى حدّ هو أبعدُ من الشهادة الفطرية القدسية، وأقربُ إلى دخْلِ إفراطِ القوة الغضبيّة، أو تفريطِ القوة الواهمة، حتى يمكن أن يُسمَّى المنتقم في بعض المواضع ذئبًا مؤذيا عند العقلاء، أو يُسمَّى الذي عفا في غير محلّه وأغضى -مثلاً عند رؤية فسقِ أهله- دَيُّوثًا وقيحًا عند أهل الغيرة والحياء. ولذلك ترى في بعض المواضع رجلاً سَرَّه تعليمُ العفو يترُكُ

[52] - الروم: ٣١

حقيقةَ العفو والرحمة، ويجاوز حدود الغيرة الإنسانية. فإن العفو في كل محلّ ليس بمحمود عند العاقلين، وكذلك الانتقام في كل مقام ليس بخير عند المتدبّرين. فلا شك أنه مَن أوجب العفوَ على نفسه في كل مقام بمتابعة الإنجيل فقد وضَع الإحسان في غير محلّه في بعض الحالات، ومَن أوجب الانتقام على نفسه في كل مقام بمتابعة التوراة فقد وضع القصاص في غير محلّه وانحطّ من مدارج الحسنات. وأمّا القرآن فقد رغّب في مثل هذه المواضع إلى شهادة الشريعة الفطرية التي تنبع من عين القوة القدسية، وتنـــزِل من روح الأمين في جَذْرِ القلوب الصافية، وقال ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[٥٣]. فانظرْ إلى هذه الدقيقة الروحانية، فإنه أمَر بالعفو عن الجريمة بشرط أن يتحقق فيه إصلاحٌ لنفسٍ، وإلا فجزاء السيئة بالسيئة. ولما كان القرآن خاتمَ الكتبِ وأكملَها وأحسنَ الصحف وأجملَها، وضَع أساس التعليم على منتهى معراج الكمال، وجعَل الشريعة الفطرية زوجًا للشريعة القانونية في كل الأحوال، ليعصم الناس من الضلال، وأراد أن يجعل الإنسان كالميت لا يتحرّك إلى اليمين ولا إلى الشمال، ولا يقدر على عفو ولا على انتقامٍ إلا بحُكم المصلحة من الله ذي الجلال. فهذا هو الموت الذي أُرسِلَ له المسيح الموعود ليُكمِله بإذن الربّ الفعّال، ولأجل ذلك قلتُ إن المسيح الموعود ينقل الناسَ من الوجود إلى العدم، فهذا نوع من النقل وقد سبق قليل من هذا المقال. وشتّان بين هذا

[٥٣] – *الشورى: ٤١*

التعليم الجليل وتعليم التوراة والإنجيل، فاسْأل الذين قبِلوا وساوس الدجّال. إن هذا التعليم يهدي للتي هي أقوَمُ، ليس فيه إفراط ولا تفريط، ولا تركُ مصلحة وحكمة، ولا تركُ مقتضى الوقت والحال، بل هو يجري تحت مجاري الأوامر[٥٤] الشريعة الفطرية وفتاوى القوة القدسية ولا يميل عن الاعتدال.

وقد قُدّر من الأزل أن المسيح الموعود يُشيع هذا التعليم المحمود حق الإشاعة، ليُميت السعداءَ قبل موت الساعة، فهناك يموت الصالحون من كمال الإطاعة. وهذا الموت يُعطَى للقلوب السليمة الصافية، ويشربون كأس المحويّة، ويغيبون في بحر الوحدة بعد نَضْوِ لباس الغَيريّة. وأمّا الذين شقُوا فيَرِدُ عليهم في آخر الأمر رجسٌ من السماء بأنواع الوباء، أو بالمحاربات وسفك الدماء، فيسري بينهم الإقعاصُ والقَعْص كقُعاص الغنمِ تقديرًا من حضرة الكبرياء، ويكثُر المحاربات على الأرض فتختتم حرب وتبدو أخرى، وتسمعون من كل طرف أخبار الموتى. وذلك كله لخاصّيةِ وجود المسيح، فإن الله نزّله كالمُجِيح، وهذا من أكبر علاماته وخواص ذاته، فإنه قابلَ آدمَ في هذه الصفات، مع بعض أمور المضاهاة. أما المضاهاة فتوجد في نوع الخِلقة، فإن آدم خُلق منه حوّاءُ كالتَوءَم مِن يد القدرة، وكذلك خُلق المسيح الموعود توءمًا وتولّدتْ معه صبيةٌ مسمّاة بالجَنّة، وماتت إلى ستة أشهر من يوم الولادة وذهبت إلى الجنّة. وما ماتت حوّاء لتكون سببًا للكثرة، فإن آدم قد ظهر لينقل الناسَ من العدم إلى الوجود، فكان حقُّ تَوْءَمِه أن يبقى لينصره

[٥٤] - سهو، والصحيح: "أوامر". (الناشر)

على تكميل المقصود، وأمّا المسيح الموعود فقد ظهر لينقل الناس من الحياة إلى المَنيّة، فكان حقُّ توءمِه أن يُنقَل من هذه الدار ليكون إرهاصًا للإرادة المَنْويّة. ثم إنّ آدم خُلق في يوم الجمعة، وكذلك وُلد المسيح الموعود في هذا اليوم في الساعة المباركة. ثم إن آدم خُلِق في اليوم السادس، وكذلك المسيح الموعود خُلق في الألف السادس.

وأما الآفات التي قُدّر ظهورها في وقت المسيح.. فمِن أعظمها خروجُ يأجوج ومأجوج، وخروج الدجّال الوقيح، وهم فتنة للمسلمين عند عصيانهم وفرارهم من الله الودود، وبلاء عظيم سُلّط عليهم كما سُلّط على اليهود.

واعلم أن يأجوج ومأجوج قومان يستعملون النار وأجيجَه في المحاربات وغيرها من المصنوعات، ولذلك سُمّوا بهذين الاسمين، فإن الأجيج صفة النار. وكذلك يكون حربهم بالموادّ الناريات، ويفوقون كلَّ من في الأرض بهذا الطريق من القتال، ومِن كل حدَبٍ ينسِلون ولا يمنعهم بحر ولا جبل من الجبال، ويخرّ الملوك أمامهم خائفين ولا تبقى لأحد يدُ المقاومة، ويُداسَون تحتهم إلى الساعة الموعودة. ومَن دخل في هاتين الحجارتين ولو كان له مملكة عظمى، فطُحن كما يُطحَن الحَبُّ في الرَحى، وتُزلزَلُ بهما الأرض زلزالها، وتُحرَّك جبالها، ويُشاع ضلالها، ولا يُسمَع دعاءٌ، ولا يصل إلى العرش بكاءٌ، ويصيب المسلمين مصيبة تأكل أموالهم وإقبالهم وأعراضهم، وتهتك أسرار ملوك الإسلام، ويظهَر على الناس أنهم كانوا مَورِدَ غضبِ الله من العصيان والإجرام، ويُنْزَع منهم رعبُهم وإقبالهم وشوكتهم وجلالهم بما كانوا لا

يتّقون، ويبارون الأعداءَ مِن طريق وينهزمون من سبعة طُرق بما كانوا لا يحسنون. يراؤون الناس ولا يتّبعون رسول الله وسُنّته ولا يتديّنون، وإنْ هم إلا كالصور ليس الروح فيهم، فلا ينظر إليهم الله بالرحمة ولا هم يُنصَرون. وكان الله يريد أن يتوب عليهم إن كانوا يتضرّعون، فما تابوا وما تضرّعوا، فنـــزَل على المجرمين وبالهم إلا الذين يخشعون. ويرون أيام المصائب ولياليها كما رأى الملعونون. فعند ذلك يقوم المسيح أمام ربه الجليل، ويدعوه في الليل الطويل، بالصراخ والعويل، ويذوب ذوبانَ الثلج على النار، ويبتهل لمصيبة نزلتْ على الديار، ويذكُر اللهَ بدموع جارية وعبرات متحدّرة، فيُسمَعُ دعاؤه لمقامٍ له عند ربه، وتنْزل ملائكة الإيواء، فيفعل الله ما يفعل، وينجي الناس من الوباء. فهناك يُعرَف المسيح في الأرض كما عُرِفَ في السماء، ويوضع له القبول في قلوب العامة والأمراء، حتى يتبرّك الملوك بثيابه، وهذا كله من الله ومن جنابه، وفي أعين الناس عجيب، ففكِّرْ في القرآن والأحاديث إن كنت تريب. وما قلتُ من عندي بل هو عقيدة الجمهور من الصلحاء المسلمين، ومكتوبٌ في كتاب رب العالمين.

الحالة الموجودة تدعو
المسيح الموعودوالمهدي المعهود

إن الأرض مُلِئت ظلمًا وجَورا، وأحاط الفساد نجدًا وغَورا، والحقائق زالت عن أماكنها، والدقائق تحوّلت عن مراكزها، ونضت الملّة لباس زينتها، وأغمدت الشريعة سيف شوكتها، وأُضيعَ أسرار بطنها ورموز هويّتها، وأُريقَ دماء أبنائها وحفدتها، حتى إن السماء بكت على ثُكلها وغربتها، وما بقي جارحة من جوارحها إلا سقمتْ، وما مُضنِئة من مضنئاتها إلا عقمتْ، فالآن هي عجوز فقدتْ قواها، وشيخة غيّرت صورتها وسناها، وفي لسانها لُكْنة أظهرتها، وفي أسنانها قلوحة علتْها.

أهذه الملة هي الملّة التي أتى بها خاتم النبيين، وأكملَها رب العالمين؟ كلا.. بل هي فسدت كل الفساد من أيدي المبتدعين، الذين جعلوا القرآن عِضِين، وضلّوا وأضلّوا وما كانوا متفقهين. إنهم قوم لا يملكون غير القشرة، ولا يدْرون ما لُبّ الحقيقة، ثم يزعمون أنهم من العالِمين، بل من مشايخ الدين. ولا تجري على ألسنهم إلا قصصٌ نَحتتْ آباؤهم، وما بقي عندهم إلا أمانيهم وأهواؤهم، واحتفلت جوامعهم مِن قوم لا يعلمون سرّ العبودية، ويجادلون بألفاظ سمعوها من الفئة الخاطئة، وما وطئتْ قدمُهم سِكَكَ الروحانية. يصلّون ولا يدرون حقيقة الصلاة، ويقرأون القرآن ولا يفهمون كلام رب الكائنات. وظهر الحق فلا يعرفونه، وبعث الله مسيحه فلا

يقبلونه، ويحقّرونه ولا يوقّرونه، ولا يأتونه مؤمنين، وجحدوا بالحق لما جاءهم وكانوا من قبل منتظرين. وإذا قيل لهم بادِروا الخير أيها الناس، ولا تتّبعوا خطواتِ الخناس، قالوا إنكم من الضالين. وكذّبوني وما فتّشوا حق التفتيش، ولا يمرّون عليّ إلا مستكبرين. ونسوا كلّ ما ذكّرهم القرآن، ولا يعلمون ما أنزل الرحمن، ويُنفِدون الأعمار غافلين. ولو عرفوا القرآن لعرفوني، ولكنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وكانوا مجترئين. ويقولون لستَ مرسلا، وكفى بالله وآياته شهيدا لو كانوا طالبين. ووقفوا ألسُنَهم على السب والتوهين، واستظهروا على مخالفة القرآن بأخبار ضعيفة ما مسَّها نفحةُ اليقين. وإن الله قد جلّى الحق فلا يسمعون، وكشَف السرّ فلا يلتفتون. قرأوا الفرقان وما اطّلعوا على أسرار دفائنه، وصُفّدوا في ألفاظ القرآن وما أُعطوا أَغلاقَ خزائنه، فكيف كان من الممكن أن يرجعوا سالمين من هذا الطريق؟ فلأجل ذلك زاغوا من محجّة التحقيق، وما ذاقوا جرعة من هذا الرحيق، وما كانوا مستبصرين. ثم لَمّا جعلني الله مسيحًا موعودًا وبعثني صدقًا وحقًا عند وقت الضرورة، طفقوا يكذّبونني ويكفّرونني ويذكرونني بأقبح الصورة، وما كانوا منتهين.

وقد وافت شمسُ الزمان غروبَها، وحيّةُ الحياة قصدتْ دُروبها، وما بقِي من الدنيا إلا قليل من حين. أيريدون أن يطول أجلُ الشيطان؟ وإن زماننا هذا هو آخر الزمان، وقد أهلكَ كثيرا من الناس إلى هذا الأوان. وإن آدم هوَى من قبل في مَصافّ، وهزمه الشيطان فما رأى الغلبة إلى ستة آلاف، ومُزّقتْ ذُرّيّته وفُرّقت في أطراف، فإلى كم يكون الشيطان من المنظَرين؟ ألم يُغْوِ

الناس أجمعين، إلا قليلا من عباد الله الصالحين؟ فقد أتمّ أمره وكمّل فعله وحان أن يُعان آدم من رب العالمين. ولا شك ولا شبهة أن إنظار الشيطان كان إلى آخر الزمان، كما يُفهَم من القرآن، أعني لفظ "الإنظار" الذي جاء في الفرقان، فإن الله خاطبه وقال ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[٥٥]، يعني يوم البعث الذي يُبعث الناس فيه بعد موت الضلالة بإذن الحي القيّوم. ولا شك أن هذا اليوم يوم يشابه يومَ خِلْقةِ آدم بما أراد الله فيه أن يخلق مثيل آدم، ثم يبثّ في الأرض ذرّيّته الروحانية ويجعلهم فوق كل مَن قُطع من الله وتجذّمَ. واشتدّت الحاجة إلى آدم الثاني في آخر الزمان، ليتدارك ما فات في أوّل الأوان، وليتمّ وعيد الله في الشيطان، فإن الله جعله من المنظَرين إلى آخر الدنيا وأشار فيه إلى إهلاكه، وإخراجه من أملاكه. وما معنى الإنظار مِن غير وعيد القتل بعد أيام الإمهال وعيثه في الديار؟ وكان الإهلاك جزاءه بما أهلك الناسَ بالفتن الكبار. وكان الألف السابع لقتله أجلاً مسمّى، فإنه أدخل الناس في جهنّم من سبعة أبوابها ووفّى حق العَمى، فالسابع لهذه السبعة أنسبُ وأوفَى. وكتب الله أنه يُقتل في آخر حصّة الدنيا، ويُحيى هناك أبناءُ آدم رحمةً من حضرة الكبرياء، ويُجعَل عليه هزيمةٌ عظمى كما جُعل على آدم في الابتداء. فهناك تُجزَى النفس بالنفس والعِرض بالعرض، وتُشرِق الأرض بنور ربّها، وتهوي[٥٦] عدوُّ صفيِّ الله، وكذلك

---

[٥٥] - *الحِجر: ٣٨*

[٥٦] - *سهو، والصحيح: يهوي. (الناشر)*

جزاء عداوة الأصفياء.

وكان هذا الفتح حقًّا واجبا لآدم بما أزلّه الشيطان في حُلْية الثعبان، وألقاه في مغارة الهوان وهدّم، بعدما أعزّه الله وأكرمَ. وما قصد إبليس إلا قتله وإهلاكه واستيصاله، وأراد أن يُعْدِمَه وذرّيتَه وآلَه، فكُتب عليه حُكم القتل من ديوان قضاء الحضرة بعد أيام المهلة، وإليه أشار سبحانه في قوله ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ كما يعلمه المتدبّرون. وما عُنِيَ بهذا القول بعث الأموات، بل أُرِيدَ فيه بعث الضالّين بعد الضلالات. ويؤيده قوله تعالى في القرآن ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[57]، كما لا يخفى على أهل العقل والعرفان. فإن إظهار الدين على أديان أخرى، لا يتحقق إلا بالبيّنة الكبرى، والحججِ القاطعة العظمى، وكثرةِ أهل الصلاح والتقوى. ولا شك أن الدين الذي يعطي الدلائل الموصلة إلى اليقين، ويزكّي النفوس حق التزكية وينجيهم من أيدي الشيطان اللعين، هو الدين الظاهر الغالب على الأديان، وهو الذي يبعث الأموات من قبور الشك والعصيان، ويحييهم عِلمًا وعملاً بفضل الله المنّان. وكان الله قد قدّر أن دينه لا يظهر بظهور تام على الأديان كلها، ولا يُرزَق أكثرُ القلوب دلائلَ الحق، ولا يُعطى تقوى الباطن لأكثرها إلا في زمان المسيح الموعود والمهدي المعهود. وأمّا الأزمنة التي هي قبله فلا تعمّ فيها التقوى ولا الدراية، بل يكثر الفسق والغواية. فالحاصل أن الهداية الوسيعة العامّة، والحجج القاطعة التامّة، تختص بزمان المسيح الموعود من الحضرة،

[57] - *الصف: ١٠*

وعند ذلك الزمان تنكشف الحقائق المستترة، وتُكشَف عن ساق الحقيقة، وتهلك الملل الباطلة والمذاهب الكاذبة، ويملك الإسلام الشرق والغرب، ويدخل الحقُّ كل دارٍ إلا قليل من المجرمين، ويتمّ الأمر، ويضع الله الحرب، وتقع الأَمَنةُ على الأرض، وتنْزل السكينة والصلح في جذور القلوب، وتترك السباع سبعيّتَها والأفاعي سُمِّيّتَها، وتتبيّن الرشد وتهلك الغيّ، ولا يبقى من الكفر والشرك إلا رسم قليل، ولا يلتزم الفسقَ والفاحشة إلا قلبٌ عليل، ويُهدى الضالون، ويُبعث المقبورون. فهذا هو معنى قوله ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فإن هذا البعث بعثٌ ما رآه الأوّلون ولا المرسلون السابقون ولا النبيون أجمعون. وإن دين الله وإن كان غالبا مِن بُدُوِّ أمرِه على كل دين من حيث القوة والاستعداد، ولكن لم يتّفق له من قبل أن يباري الأديانَ كلّها بالحجة والإسناد، ويهزمها كلَّ الهزم ويُثبِت أنها مملوّة من الفساد، ويخرج كالأبطال بأسلحة الاستدلال، حتى يعمّ في جميع الديار والبلاد. وكان ذلك تقديرا من الله الودود، بما سبق منه أن الغلبة التامة والصلاح الأكبر الأعم يختص بزمان المسيح الموعود، ولذلك استمهل الشيطانُ إلى هذا الزمان المسعود، فمهّله الله ليتمّ كل ما أراد للعالمين. فأغوى الشيطان مَن تبِعه أجمعين، فتقطّعوا بينهم أمرَهم، وكان كل حزب بما لديهم فرحين. وما بقِي على الصراط إلا عباد الله الصالحين.

والسرّ فيه أن الزمان قُسّم على ستّة أقسام، مِن الله الذي خلَق العالم في ستة أيام. فهو زمان الابتداء، وزمان التزايد والنماء، وزمان الكمال والانتهاء، وزمان الانحطاط وقلّةِ التعلّق بالله وقلّةِ الارتباط، وزمان الموت بأنواع

الضلالات، وزمان البعث بعد الممات. فإنّ مَثل الناس عند الله مِن وقت آدم إلى آخر الزمان كزرعٍ أخرجَ شَطْأَه فآزرَه فاستغلظ فاستوى على سوقه، ثم اصفرّ فطفق تتساقط بإذن الله، ثم حُصِد فبقيت الأرض خاوية، ثم أحياها الله بعد موتها فإذا هي راوية، وأنبتَ فيها نباتًا مترعرعًا مخضرّا، وعيونَ الزُرّاع أقرَّ، كذلك ضرب الله مثلا للعالمين. فثبت من هذا المقام أن زمان الموت الروحاني كان مقدَّرا من ربّ العالمين، وكان قُدّر أن الناس يضلّون كلهم في الألف السادس إلا قليل من الصالحين، فلأجل ذلك قال الشيطان لأُغوينّهم أجمعين، ولو لم يكن هذا التقدير لما اجترأ على هذا القول ذلك اللعين. ولمّا كان يعلم أن الله قفّى هذه الأزمنةَ بزمان البعث والهداية والفهم والدراية، قال ﴿إلى يومِ يُبعَثون﴾.

فالحاصل أن آخر الأزمنة زمان البعث كما يعلمه العالمون. فكأنّ الله قسّم الألوف الستّة على الأزمنة الستّة، وأودعَ بعضَ حصص السابع للقيامة، ولما جاء الألف السادس الذي هو زمان البعث من الله الكريم، تمّ أمرُ الإضلال وصار الناس فِرَقًا كثيرة من الشيطان اللئيم، وزاد الطغيان وتموّجَ الفِرق كتموّج الأمواج الثقال، وشَمَخ الضلالة كالجبال، ومات الناس بموت الجهل والفسق والفواحش وعدم المبالاة، وعمّ الموتُ في جميع الأقوام والديار والجهات. فهناك رأى الله أن وقت البعث قد أتى، ووقت الموت بلغ إلى المنتهى، فأرسل رسوله كما جرت سُنّته في قرون أولى، ليحيي الموتى، وكان وعدًا مفعولاً من ربّ الوَرى. فذلك هو المسيح خاتم الخلفاء، ووارثُ الأنبياء، والإمام المنتظر من حضرة الكبرياء، وآدم الذي بدَأ الله منه مرةً ثانية

سلسلةَ الإحياء.

وإن الله سمّاه "أحمد" بما يُحمَد به الرب الجليل في الأرض كما يُحمَد في السماء. وسمّاه "عيسى ابن مريم" بما خلق روحانيته من لدنه، وما كان على الأرض شيخ له كالآباء. وأعطي له لقب عيسى الذي هو المسيح بما خُتم عليه خلافة نبيِّ الأممِ خيرِ الأصفياء، كما خُتم على عيسى خلافة سلسلة موسى من حضرة الكبرياء، وبما قُدّر أن اسمه يمسَح الأرض ويُذكَر في كل قوم بالعزّة والعلاء، ويبدو كالبرق من جهة ثم يبرق في جهات أخرى وينير كل فضاء السماء، وبما كُتب من الأزل أنه يمسح السماء بكشف الحقائق فلا تبقى في زمنه نكتة في حيّز الاختفاء.

فهذه ثلاثة أوجه لتسمية المسيح الذي هو خاتم الخلفاء، ففكّرْ فيه إن كنت من أهل الدهاء. وإنه مستفيض من نبيّه الذي ملَك هذه الصفات الثلاث بالاستيفاء، فاتركْ ذكر عيسى وآمنْ بظِلِّ خيرِ الرسل وخاتم الأنبياء.

وكان من أهم الأمور عند الله أن يجعل آخر الأزمنة زمانَ البعث.. أعني زمان تجديد سلسلة الإحياء، وإنه الحقّ فلا تجادل كالجهلاء. وكذلك كان من أعظم مقاصد الله أن يُهلك الشيطان كل الإهلاك، ويردّ الكَرّةَ لآدم ويملأ الأرض قسطا وعدلا ومن أنواع البركات والآلاء، ويكشف الحقائق كلها ويُشيع الأمر والمأمور في جميع الأنحاء، ويُظهر في الأرض جلاله وجماله ولا يغادر في هذا الباب شيئا من الأشياء. فأقام عبدًا من عنده لهذا الغرض ولتجديد الشريعة الغرّاء، وجعله من حيث الآباء من أبناء فارس، ومن حيث الأمهات من بني فاطمة، ليجمع فيه الجلال والجمال، ويجعل فيه نصيبا من

أحسن سجايا الرجال، ونصيبا من أجمل شمائل النساء، فإن في بني فارس شجعانا يردّون الإيمان من السماء، ولذلك سمّاني الله آدمَ والمسيحَ الذي أرى خلق مريمَ، وأحمدَ الذي في الفضل تقدّمَ، ليُظهر أنه جمَع في نفسي كل شأن النبيين على سبيل الموهبة والعطاء، فهذا هو الحق الذي فيه يختلفون. لا يعود إلى الدنيا آدم، ولا نبينا الأكرم، ولا عيسى المتوفى المتّهم. سبحان الله وتعالى عما يفترون!

أليس هذا الزمان آخر الأزمنة ما لكم لا تفكّرون؟ أما اقتربت الساعة بظهور نبيّنا وجاءت أشراطها فأين تفرّون؟ ما لكم تَدُعُّون الأخبار مِن مقرِّ أوقاتها وتؤخّرونها وأنتم تعلمون؟ أنسيتم حديث "بُعثتُ أنا والساعةُ كهاتين"، فما لكم لِمَ تكفُرون؟ فامسَحوا السبّابة وما لحِقها، وتَذكّروا وعد الله، وما يتذكّر إلا الذين يُنيبون.

وما جئتُ إلا في الألف السادس الذي هو يومُ خلق آدم، وإن فيها لهدى لقوم يتفكّرون. ألا تقرأون سورة العصر وقد بيّن في أعدادها عمر الدنيا من آدم إلى نبيّنا لقوم يتفقّهون؟ وهذا هو العمر الذي يعلمه أهل الكتاب، فاسألوهم إن كنتم لا تعلمون. ولا فرق بين عِدّة سورة العصر وعِدّتهم إلا الفرق بين أيام الشمس وأيام القمر، فعُدّوها إن كنتم تشكّون. وإذا تقرّرَ هذا فاعلموا أني وُلدتُ في آخر الألف السادس بهذا الحساب، وإنه يومُ خلقِ آدم، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾. وإن كنتم في ريب مما كتبنا من أنه من أيام سلسلة آدم ما بقِي إلى يومنا هذا إلا ألفُ سنة أو معه قليل من سنين، فتعالوا نُثبِته لكم من كتاب الله ومن الحديث ومن كتب

النبيّين السابقين. فإن أعداد سورة العصر بحساب الجُمَّل -كما كُشِفَ عليّ من الله الوهّاب وكما هو متواتر عند أهل الكتاب- يهدي إلى أن الزمان إلى عهد خاتم الأنبياء كان مُنقضيًا إلى خمسة آلاف من آدمَ أوّلِ النبيّين، وما كان باقيا من الخامس إلا قليل من مئين[٥٨]. وكمِثله يُفهَم مِن حديث "مِنبر ذي سبع درجات" بمعنى بيّنّاه في موضعه للناظرين. ولمّا ثبت أن هذا القدر من عمر الدنيا كان مُنقضيا إلى عهد رسول الله خيرِ الورى، ثبت معه أن القدر الباقي ما كان إلا أقلّ مقدارا نسبةً إلى ما مضى. فإن القرآن الكريم صرّح مرارا بأن الساعة قريبة لا ريب فيها، وقال ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[٥٩]، وقال ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[٦٠]، وقال ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[٦١]، وكذلك توجد فيه في هذا الباب آيات أخرى، فعُلِمَ منها بالقطع واليقين يا أولي النهى، أن الحصّة الباقية من الدنيا أقلُّ من زمان انقضى، حتى إن أشراط الساعة ظهرتْ ويومُ الوعد دنا، وقرُب الآتي وبَعُدَ ما مضى، فارجعِ البصرَ هل ترى مِن كذبٍ فيه، والسلام على من اتّبع الهُدى.

وقد علمتَ أن المدّة المنقضية من وقت آدم إلى عهد نبيّنا المصطفى، كانت

[٥٨] - الحاشية: إن الأقوال التي تخالف هذه العدّة وذكَرها المتقدّمون، فهي كلمات تكذّب بعضُها بعضًا، وما اتفقوا على كلمة واحدة، بَل إنهم في كل وادٍ يهيمون. فليس بحريٍّ أن يُتمَسّك بها بعدما اتفق على هذه العِدّة القرآنُ والنبيّون الأوّلون. منه

[٥٩] - *الأنبياء:٢*

[٦٠] - *القمر:٢*

[٦١] - *محمّد:١٩*

قريبة من خمسة آلاف، وقد شهد عليه القرآن واتفق عليه أهل الكتاب من غير خلاف، فما المقدار الذي هو أقلّ من هذا المقدار؟ أليس هو آخر وقت العصر، أجِبْنا بالإنصاف؟ ولو تعسّفتَ كلّ التعسّف ثم مع ذلك لا بد لك أن تُقرّ بأنه أقلّ من النصف بغير الاختلاف. فقد اعترفتَ بدعوانا بقولك هذا مع هذا الاعتساف. فلزم لك أن تُقرّ أن مِن مُدّة عهدِ آدم ما كانت باقية إلى عهد رسول الله إلا ألفين وعِدّةً من مئين، وهذا هو دعوانا، فالحمد لله ربّ العالمين. فإنا نقول إنا بُعثنا على رأس ألفٍ آخرٍ من ألوف سلسلة أبي البشر[٦٢] وخاتمة الألف السادس بإذن الله أرحم الراحمين. وهذا هو زمان المسيح الذي هو آدمُ آخرِ الزمان، وهذه هي حُجّتي التي أقررتَ بها يا أبا العدوان. فانظرْ أنك صُفِّدتَ حق التصفيد وكذلك يصفَّد كلّ مَن أعرض عن أهل العرفان. واللهُ ما نبّأَنا بالساعة، ونبّأَنا بالألف الذي تقع الساعة فيها، وعرّف بعضَ الحالات وأعرضَ عن بعض، فلا نعلم وقت الساعة ولا مَلَكٌ في السماء، وما نعلم حقيقة الساعة، ونعلم أنها انقلاب عظيم ويوم الجزاء، ونفوّض تفاصيلها إلى عليم يعلم حقيقة الابتداء والانتهاء.

ثم نعيد الكلام ونقول إن الله شبّه زمان رسول الله ﷺ بوقت العصر، وإن شئت فاقرأْ في القرآن سورة العصر، وكذلك جاء ذكرُ العصر في الأحاديث

[٦٢] – الحاشية: إنّا انتقلنا في بعض عبارات كتابنا هذا من تصريحِ لفظ خاتمة الدنيا إلى لفظ انقلاب عظيم أو انقطاعِ سلسلةِ آدم أو عبارة أخرى، فإن أمر الساعة خفيّ لا يعلم تفصيلَه إلا الله، فالكناية أقربُ إلى التقوى، ونؤمن بانقلاب عظيم بعد هذه المدة، ونفوّض التفاصيل إلى ربنا الأعلى. منه

الصحيحة والأخبار الموثّقة المتواترة، حتى إنه توجد في البخاري والموطّأ وغيرها من الكتب المعتبرة. والسرّ في هذا التشبيه أن الله بَعث موسى بعد إهلاك القرون الأولى، وجعَله آدمَ للأمّة الجديدة وأوحى إليه ما أوحى، وانقطع سلسلةُ دينه إلى ثلاث مائة بعد الألف ونَيِّفٍ وكذلك أراد الله وقضى، ثم بعث عيسى ليذكِّر بني إسرائيل ما نسوه من التوراة ويرغّبهم في أخلاق عظمى، وانقطعت سلسلة دينه إلى مدّة هي قريب من نصف مدّة سلسلة موسى، ثم بعَث نبيَّه محمّدًا خيرَ الورى ورسوله المصطفى، عليه صلوات الله وسلامه وبركاته الكبرى، وجعَل سلسلة الأخيار الذين اتّبعوه إلى مدّة هي نصفُ النصف الذي أُعطيَ لعيسى، أعني القرون الثلاثة التي انقرضت إلى ثلاث مائة من سيّدنا المجتبى، فكان عهدُ أُمّة موسى يضاهي نهارا كاملا تماما، ويضاهي عددُ مِئاته عددَ ساعاته، وعهدُ أُمّة عيسى يضاهي نصفَ النهار في حدّ ذاته، وأمّا عهد أخيارِ أُمّة خيرِ الرسل الذين كانوا إلى القرون الثلاثة فهو يضاهي نصفَ نصف النهار أعني وقت العصر الذي هو ثلاث ساعة من الأيام المتوسطة، ثم بعد ذلك ليلة ليلاء بقدرٍ من الله وحكمةٍ، وهي مملوّة من الظلم والجور إلى ألف سنة، ثم بعد ذلك تطلُع شمس المسيح الموعود من فضل الرحمن، فهذا معنى العصر الذي جاء في القرآن. هذا ما ظهر علينا من حقيقة وقت العصر، ولكن مع ذلك قُرْب القيامة حقٌّ صحيح ثابت من الفرقان، وللقرآن وجوه عند أهل العرفان، فهذا وجه وذلك وجه وكلاهما صادقان عند الإمعان، ولا ينكره إلا جاهل ضرير أو متعصّب أسير في حُجب العدوان، لأن المعنى الذي قدّمناه في البيان يحصُل به

التفصّي مِن بعض الأشكال التي تختلج في جَنان بعضِ عطاشى العرفان، مِن تتابُعِ وساوس الشيطان. ثم إن هذا المعنى ينجي حديثَ البخاري والموطّأ من طعنِ الطعّان، ومِن اعتراض معترض يتقلّد أسلحة لِلطَّعَان.

وتقرير الاعتراض أنه كيف يمكن أن يشبه زمان الإسلام بوقت العصر وقد ساوى زمانُ هذا الدين زمانَ موسى، وزاد على زمان دين عيسى، بل جاوزَ ضعفَه إلى هذا العصر، فما معنى العصر نسبةً إلى الزمان المذكور؟ بل ليس هذا البيان إلا كذبا فاحشا ومِن أشنع أنواع الزور، بل ذيلُ الاعتراض أطولُ من هذا المحذور.. فإن نبأ نزول عيسى وخروج الدجّال ويأجوج ومأجوج الذي ينتظره كثير من العامّة قد ثَبَت كذبه بهذا الإيراد بالبداهة وبالضرورة، فإن وقت العصر قد مضى بل انقضى ضِعفاه من غير الشك والشبهة نظرًا إلى زمان الملّة الموسوية، فما بقي لظهور هذه الأنباء وقت، واضطر المنتظرون إلى أن يقولوا إنها باطلة في الحقيقة. وما بقي سبيل لتصديقها إلا أن يقال إن هذه الأخبار قد وقعت، وقد نزل عيسى النازل، وخرج الدجّال الخارج، وظهر يأجوج ومأجوج، وتحقّقَ النسل والعروج، وتمّت الأخبار التي قُدّرتْ، والرسل أُقّتتْ. فلمّا قلنا إن زمان أمّة موسى كان بين هذه الأمم الثلاث أطولَ الأزمنة، وكان زمانُ أمّة عيسى نصفَه، وكان نصْفَ هذا النصف زمانُ أخيار هذه الأُمّة نظرًا إلى تحديد القرون الثلاثة، بطُل هذا الاعتراض، وانكشفَ الأمر على الذي يطلب الحق بسلامة الطويّة وصحة النيّة، وثبت بالقطع واليقين أن زمان الأمّة المرحومة المحمدية قليل في الحقيقة من زمان

الأمّة الموسوية والعيسوية.[٦٣] وهذه منّةٌ منا على المخالفين من الفِرق الإسلامية، و لم يبق لعاقل ارتياب في هذا البيان، بل هو موجب لثلج الصدر والاطمئنان، وبطُل معه اعتراض يَرِدُ على حديث عمر الأنبياء. فإن عُمُرَ عيسى من جهةِ بقاءِ دينه نصفُ عمر موسى كما ظهر مِن غير الخفاء، وعُمُرَ سيدِنا خيرِ الرسل بالنظر إلى القرون الثلاثة نصفُ عُمُرِ عيسى ابن مريم بالبداهة، ثم بعد ذلك أيامُ موت الإسلام إلى ألف سنة. ثم بعد موت رسول الله ﷺ بهذا المعنى زمانُ المسيح الموعود، الذي يشابه أبا بكر في قتل الشيطان المردود، فإن المسيح الموعود قد استُخلفَ بعد موت النبي الكريم مِن حيث دينه، مِن غير فاصلة بل قبل تدفينه، وأَشركه ربُّه في نبأ خلافةِ أبي بكر.. أعني النبأ الذي ذُكر في صحف مطهَّرة، ووُفّق كما وُفّق أبو بكر، وأُعطيَ له العزمُ كمِثله لمنعِ سيل ضلالة مهلكة، وإليه أشار سبحانه تعالى في قوله ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٦٤].. يعني مِن ألف سنة. وكثُرت الاستعارات

[٦٣] – الحاشية: قد صرّح رسول الله ﷺ بأن المراد من الأمم الذين خلوا من قبلُ هم اليهود والنصارى، فلا سبيل لمن مارى. أما سمعتَ قول رسول الله: "فمَن؟" ففكِّرْ وأمعنْ. ثم نقول على سبيل التنـــزّل إن وقت بعثِ نبيّنا المصطفى ما كان إلا كالعصر نسبةً إلى أممٍ أخرى، فإن نسبة الألْف الخامس إلىَ عمر الدنيا.. أعني سبعة آلاف.. تضاهي نسبةً توجد لوقت العصر بما مضى بغير خلاف، وذلك إذا أُخذ مقدارُ النهار سبعَ ساعات نظرًا إلى أقلِّ مقدارِ طلوع الشمس وغروبها في بعض معمورات. وأنت تعلم أن النهار يوجد بهذا القدر في بعض البلاد القصوى، كما لا يخفى على أولِي النهى. وإنّا أخذْنا النهار في صورةٍ أُولى بلحاظِ أزيدِ ساعاتِها، وفي الأخرى بلحاظِ أقلِّها. ولنا الخيَرة كما ترى. منه

[٦٤] – *القدر: ٤*

كمثله في كتب سابقة. ثم بعد ذلك الألف زمانُ البعث بعد الموت وزمان المسيح الموعود، فقد تمّ اليوم ألفُ الضلالة والموت، وجاء وقت بعد[٦٥] الإسلام الموءود. وتمّتْ حجّة الله عليكم أيها المنكرون، فلا تكونوا من الظانّين بالله ظنّ السوء، وعُدّوا أيامّ الله أيها العادّون. وإنّ وعد الله حق، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا، ولا يغرّنكم الشيطان الملعون.

وإن هذه الأيام أيامُ ملحمة عظمى أيها المجاهدون الخاطئون، وأيامُ نزول المسيح وخروج الشيطان بغضب ما رآه السابقون. فإن الشيطان رأى الزمان قد انقضى، وأن وقت المُهلة مضى، ويوم البعث أتى، وما كانت المهلة إلا ﴿إلى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾. هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون. وإن الذين يجادلون فيه بعدما أتتهم شهادة من الفرقان إنْ في صدورهم إلا كبرٌ، وما بقي لهم حق ليكفروا بسلطان نزل من الرحمن، وتمّت عليهم حجّة الله الديّان. لا يريدون الحق ولا الهدى، ويُنفِدون الأعمار فرحين مستبشرين بهذه الدنيا. ألم يأتهم ما أتى الأمم الأولى؟ ألم يروا آياتٍ كبرى؟ أما جاء رأس المائة وفسادُ الأمّة، والفتنُ العظمى من أعداء الملّة، والكسوفُ والخسوف في رمضان ومعالم أخرى؟ فإن كنتم صالحين فأين التقوى؟

أيها الناس، قد علمتم مما ذكرنا من قبل أن أعداد سورة العصر بحساب الجُمّل تدلّ على أن الزمان الماضي من وقت آدم إلى نزول هذه السورة كان سبعَ مائة سنة بعد أربع آلاف. هذا ما كشَف عليّ ربي فعلمتُ بعد

---

[٦٥] - سهو، والصحيح: بعث. (الناشر)

انكشاف، وشهد عليه تاريخٌ اتفق عليه جمهور أهل الكتاب من غير خلاف، وقد زاد على تلك المدّة إلى يومنا هذا ثلاثُ مائة بعد الألْف، وإذا جمعناهما فهو ستة آلاف كما هو مذهب المحققين من السلف. ومن ههنا ثبت أن تولُّدي في آخر الألف السادس يضاهي خلقةَ آدم في اليوم السادس. ولا شك أن المبعوث في آخرِ ألْفِ الموت سُمّي بآدم عند الرحمن، فكان من أسرار حكمةِ الله أنه خلقني في آخر الألف السادس ليشابه خَلْقي خَلْقَ آدم بهذا العنوان. وكان هذا وعدًا مقدَّرًا من الله ذي الحِكم والفنون، وإليه أشار في قوله ﴿إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[٦٦]. وإن زمان خَلقي ألفٌ سادس لا ريب فيه، فاسأل الذين يعلمون، ونطق به التوراةُ التي يؤمن بها المسلمون، ولم يثبت بنصوص صريحة ما يخالف هذه العِدّةَ ويعلمه العالمون. فما كان لهم أن يكفروا بعِدّة التوراة وما قال النبيّون. وكيف وما خالفه القرآن بل صدّقه سورة العصر، فأين يفرّون؟ بل إليه يشير قوله تعالى ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلىَ الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[٦٧]، واقرؤوا معها آية ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. هذه آية كتبناها من

[٦٦] – *الحج:٤٨*

[٦٧] – الحاشية: قد صرّح الله تعالى في هذه الآية وبيّن حقّ التبيين أن أيام الضلالة بعد أيام دعوة القرآن هي ألف سنة، وبعدها يُبعَث مسيح الرحمن، فانقطعت الخصومة بهذا التعيين المبين، لا سيّما إذا أُلحقَ به ما جاء ذكرُ ألْف سنة في كتب النبيين السابقين، ففكّرْ ثم فكّرْ حتى يأتيك اليقين. ألا ترى الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، وألحقوا بجماعتهم كثيرا من الحشرات، وقلّبوا العالم بالبدعات، وأرادوا أن يستأصلوا الحق بالخزعبيلات، وأنفقوا جبال الطلاء كإجراءِ نهرِ الماء لهدمِ الشريعة الغرّاء. أيوجد مثلهم

سورة السجدة، ومن السُنّة أنها تُقرَأ في صلاة الفجر من الجمعة، وإن الله تبارك وتعالى يقول في هذه السورة إنه دبّر أمر الشريعة بإنزال الفرقان الحميد، وأكملَ للناس دينهم بالكلام المجيد، ثم يأتي بعد ذلك زمان تمتدّ ضلالته إلى ألف سنة، ويُرفَع كتاب الله إليه ويعرُج إلى الله أمره بشِقّيه، يعني يُضاع فيه حقُّ الله وحق العباد، وتهبّ صراصر الفساد على قِسمَيه، ويفشو الكذب والفِرية، يعني الفتن الدجّالية، ويظهر الفسق والكفر والشرك، وترى المجرمين معرضين عن ربهم وظهيرين عليه. ثم يأتي بعد ذلك ألف آخر يُغاث فيه الناس من رب العالمين، ويُرسَل آدمُ آخرِ الزمان ليجدّد الدين، وإليه أشار في آيةٍ هي بعد هذه الآية أعني قوله ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[٦٨]. وإنّ هذا الإنسان هو المسيح الموعود، وقُدّر بعثه بعد انقضاء ألف سنة من القرون التي هي خير القرون، واتّفق عليه معشر النبيين. وقد جاء في الصحيحين عن عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ: "خيرُ أمّتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدهم قوم[٦٩] يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يُؤتَمنون، وينذِرون ولا يُوفون، ويظهَر فيهم السِّمَن"، وفي رواية: "ويحلِفون ولا يُستحلفون". فظهر من هذا الحديث الذي هو المتفق عليه أن الزمانَ المحفوظ من غلبة الكذب -الذي هو من الصفات الدجّالية- وزمانَ الصدق

في الأولين من الأعداء؟ أو صُبّتْ على الإسلام مصيبة من قبلُ كمثل هذا البلاء؟ لن تجد من آدم إلى آخر الوقت فتنًا كفتن هؤلاء. منه.

٦٨ - *السجدة:٨*

٦٩ - *سهو، والصحيح: قومًا. (الناشر)*

والصلاح والعفّة لا يجاوز ثلاثَ مائة من قرن سيدنا خير البريّة، ثم بعد ذلك يأتي زمان كلَيْلٍ سَجى عند غيبةِ بدرٍ اختفى، وفيه يفشو الكذب ويهوي من الأهواء مَن هَوَى، ويزيد كلَّ يوم زُورٌ وأحاديث تُفترى. فإذا بلغ الكذب إلى حدّ الكمال فينتهي يومًا إلى ظهور الدجّال، وهو آخرُ أيام هذا الألف كما يقتضيه سلسلةُ الترقي في الزُّور والافتعال، وكما هو مفهوم حديث رسول الله ذي الجلال. وذلك الزمان هو الزمان الذي يعرُج أمرُ الله إليه والهدى، ويُرفَع القرآن إلى السماوات العُلى، وقد شهِدَت الواقعات الخارجية أن هذا الزمان الفاسد امتد إلى ألف سنة.. أعني إلى هذا الزمان، حتى صار الصِلُّ كالأُفْعُوان. ففَهِمْنا من هذا باليقين التام والعرفان أن قوله تعالى ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[٧٠] يتعلّق بهذه المدّة التي مرّت في الضلالة والفسق والطغيان، وكثُر فيه المشركون، إلا قليل من الذين كانوا يتّقون. وإنه ألف سنة ما زاد عليه وما نقص، فأي دليل أكبر من هذا لو كنتم تفكّرون؟

وإن لم تقبَلوا فبيِّنوا لنا ما معنى هذه الآية من دون هذا المعنى إن كنتم تعلمون. أتظنون أن القيامة هي ألف سنة كسنواتِ مُدّة الدنيا أو تصعَد الأعمال إلى الله في يوم القيامة في مدّةٍ كمثلها، ولا يعلَمها الله قبلَها؟ اتّقوا الله أيها المسرفون! وأي شهادة أكبر مما ظهر في الخارج.. أعني مقدار مدّةٍ غلبت الضلالة فيها، فإنكم رأيتم بأعينكم أن مدّة زمان الضلالة وشدّتها

---

[٧٠] – السجدة:٦

وتزايُدها بعد قرون الخير قد امتدّتْ إلى ألف سنة حقا وصدقا.. أتنكرون وأنتم تشاهدون؟ وبدأ الكذب كزرع، ثم صار كشجرة، حتى ظهرت هيكل الدجّال وأنتم تنظرون. وإن الضلالة وإن كانت من قبل ولكن ما حدّتْ قرونُها إلا بعد هذه القرون الثلاثة. ألاَ تقرأون حديث "القرون"؟ وقد جمع هذا الألف كلَّ ضلالة، وأنواعَ شرك وبدعة، وأقسام فسق ومعصية، وأُضيعَ فيه حقوق الله وحقوق العباد وحقوق المخلوق، وانفتحت أبواب الارتداد، فبأي دليل بعد ذلك تؤمنون؟ وفُتحتْ يأجوج ومأجوج، وترون أنهم من كل حدَبٍ ينسلون. وما خرَجا إلا بعد القرون الثلاثة، وما كمُل إقبالهما إلا عند آخر حصةِ هذا الألف، وكُمّلَ الألف مع تكميل سطوتهما، وإن فيها لآية لقوم يتدبّرون، وإن القرآن يهدي لهذا السرّ المكتوم، ويقول إن يأجوج ومأجوج قد حُبِسا وصُفّدا إلى يوم الوقت المعلوم، ثم يُفتَحان في أيام غروب شمس الصلاح وزمان الضلالات، كما أنتم ترون في هذه الأيام وتشاهدون.

وكفى الطالبين هذا القدر من البيان، وأرى أني أكملتُ ما أردت وأتممت الحجّة على أهل العدوان. وهذا آخر ما أردنا، فالحمد لله على إتمامه لطلباء الزمان.

تـــمّـــتْ

المؤلّف

ميرزا غلام أحمد

١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٢م